



شريف شوقى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثناياها، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا، والربيع إلى كهولتنا، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة.. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - الخبر السعيد ..

ظلت (وفاء) تتحرك فى أرجاء منزلها وهى تتطلع إلى الساعة من آن لآخر ، مترقبة عودة زوجها من عمله .. وقد أحست بأنها غير قادرة على الجلوس أو الانتظار من فرط الانفعال .

فمنذ أن أخبرتها الطبيبة التى فحصتها صباح اليوم بأنها فى سبيلها للإنجاب ، وهى غير قادرة على السيطرة على مشاعرها ، وتلك الانفعالات المتضاربة التى أخذت تعتمل فى نفسها .

وسرعان ما وجدت أن تيارًا كاسحًا من السعادة يغمرها ، ويدفع فى طريقه ما عداه من الأحاسيس والمشاعر المتضاربة الأخرى .

إنها ستصبح أمًا .. وستنجب طفلاً من (محمود) .. زوجها الذى وهبت له كل كيانها وحاضرها ومستقبلها .

الشخص الوحيد الذى أحبته .. وصممت على ألا تتنازل عنه .. وذلك منذ لقائهما الأول فى الجامعة ..

ومنذ أن نشأ هذا الحب .. إلى أن ظفرت به زوجًا فى النهاية .

وها هى ذى فى سبيلها لكى تنجب منه طفلاً يكون هو الثمرة الجميلة التى نجمت عن هذا الحب .. وتتويجًا لسعادتها بزواجها منه .

إن عليها أن تسجد لله شكرًا .. فقد منحها كل ما تمنته .. وكان (محمود) هو أقصى أمانيها .

وألقت نظرة من النافذة إلى الشارع تترقب عودته مرة أخرى .

لقد تأخر اليوم عن موعده .. وكانت تتمنى لو بكر بالعودة اليوم عن أىّ يوم آخر .. فهى لا تقوى على الانتظار من أجل اطلاعه على الخبر .

وفجأة تلاشت مظاهر السعادة التى كانت ترتسم منذ لحظات على وجهها .. وتملكها إحساس مفاجئ بالقلق .

فقد تذكرت ما قاله لها (محمود) من قبل بشأن عدم رغبته فى إنجاب أطفال فى هذه المرحلة من زواجهما ، وأنه يفضل الانتظار لما بعد حتى تتحسن ظروفهما المالية .. وكيف أنه شدّد عليها فى ذلك .

ويبدو أن هذا هو ما كان يقلقها منذ البداية دون أن تنتبه إليه ، فإن تيار السعادة الذى غمرها جعلها تنسى تحذيرات (محمود) لها بهذا الشأن .

وتساءلت وقد عاودها ذلك التضارب فى المشاعر الذى اعتراها من قبل :

- ترى كيف سيستقبل زوجها هذا الأمر ؟

هل سيغضب منها لأنها خالفت ما حذرها منه من قبل ؟ برغم أنها لا ذنب لها فيما حدث . أم سيصفح عنها .. ويسعد مثلها بالطفل القادم ؟

حاولت أن تنتزع عنها ذلك الإحساس بالقلق وأن تعيد إلى نفسها الطمأنينة قائلة :

- كلا .. لا أظن أنه سيغضب .. بل لابد أنه سيشاركنى فرحتى بهذا الخبر السعيد ، ويلقى وراءه بكل المحاذير السابقة .

فلا يمكن لزوجين متحابين ألا يسعدا بمثل هذا الخبر ، وبأنهما فى سبيلهما لاستقبال مولود صغير .

وتحركت فيها غريزة الأمومة بصورة مبكرة .. فتنبهت إلى أنه يتعين عليها أن تخفف من حركتها المتواصلة والمتوترة على هذا النحو .. لما يمكن أن يسببه ذلك من أضرار بالجنين .

فسارعت بالجلوس على أحد المقاعد .. فى انتظار عودة زوجها .. وتذكرت وهى مسترخية على هذا النحو ذلك اللقاء الأول الذى جمع بينهما فى الكلية .

وكيف افتتنت به منذ هذا اللقاء ، وأصبح هو حبها الوحيد الذى لم تعرف قبله ولا بعده .

وبوفاة والدتها بعد عام واحد من زواجها لتلحق بأبيها الذى فارقها وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ، أصبح (محمود) هو كل ما لها فى هذه الدنيا واستغنت به عن الأهل الذين حرمت منهم .

فلم يكن لها أىّ أقارب عدا عمًا مهاجرًا إلى (كندا) .. ولم تره فى حياتها سوى مرة واحدة .. وخالة .. متزوجة وتعيش فى (أسيوط) ولم تلتق بها هى الأخرى إلا مرات معدودة .

لكن حبها الطاغى لزوجها جعلها لا تشعر بقسوة اليتم وافتقادها لوجود صلات أسرية .

حتى الصداقات لم تكن تأبه لها كثيرًا لانشغالها الدائم بـ (محمود) فقد صار هو الأب والأم والأخ والصديق والزوج والحبيب .

وبرغم الظروف الصعبة التى اعترضت زواجهما

منذ البداية .. والإغراءات العديدة التى قدمها لها كل من كانوا يرغبون فى الزواج منها ، خاصة وقد كانت تملك من مظاهر الجمال ومن المزايا ما جعلها محط إعجاب وافتتان العديد من الأشخاص ، الذين أرادوا أن يقترنوا بها ، وحاولوا أن يخطبوا ودَّها .

لكنها رفضت أن ترتبط بأى شخص عدا (محمود) .. وأصرت على ألا تكون زوجة لسواه .

وفى تلك الليلة التى عقد فيها قرانه عليها .. أحست بأنه لا يمكن لفتاة أخرى فى هذا العالم أن تكون أسعد منها .

وبينما هى مسترسلة فى أفكارها سمعت صوت المفتاح وهو يدور فى الباب .. فتسارعت دقات قلبها .

وما لبث أن فُتحَ البابُ ليدخل منه زوجها .

فأسرعت إليه وهى تحتضنه بلهفة قائلة :

ـ (محمود) .. لماذا تأخرت هكذا ؟

قبل جبينها قائلاً :

ـ آسف يا حبيبتى .. لقد اضطررت إلى البقاء قليلاً فى المكتب حتى أنهى بعض الأعمال .

أحاطت خصره بذراعها قائلة :

- لقد كنت أنتظر حضورك بفارغ الصبر .

سألها قائلاً :

- لا بـد أنك جوعانــة .. لقـد قلـت لك من قبـل ألا ترتبطى بعودتى ...

قاطعته قائلة :

- مـا هذا الذى تقولـه ؟ لا شأن لذلك بـالجوع أو الطعام .. ثم إنك تعرف أننـى لا أستطيع أن أتنـاول طعامًا بدونك .

ابتسم قائلاً :

- حقًا .. إذن لا بد أنك كنت تفتقدينني كثيرًا !

ألقت برأسها على صدره مبتسـمة .. وقـد تشجعت لهذه الروح المرحة التى كان يبدو عليها قائلة :

- أنت تعرف أننى أفتقدك دائمًـا يا حبيبـى .. لكنـى كنت أترقب عودتك لأننى أحتفظ لك بمفاجأة .

نظر إليها بفضول قائلاً :

- حقًا ؟ هل هى مفاجأة سعيدة ؟

هزت رأسها قائلة :

- أظن أنها كذلك .

قال لها متسائلاً :

- ما هذه الألغاز ؟ ماذا تعنين بذلك ؟ وما هى هذه المفاجأة ؟

فكرت لبرهة .. ثم قالت :

- ليس الآن .. أفضل أن أقولها لك بعد أن تتنـاول غداءك .

ضحك قائلاً وهو يدخل إلى غرفة نومهما :

- ربما لو قلتها الآن لتفتحت شهيتى .

سألته قائلة :

- هل تعنى بذلك أن شهيتك ليست على ما يرام ؟

قال لها متبرمًا وهو يبدل ثيابه :

- لا أخفى عليك أننى قد ضقت ذرعًا بهذه الحياة الروتينية المملة التى لا يمكن أن تحقق لى طموحاتى .

قالت له وهى تساعده على تبديل ثيابه :

- لكنك تشغل وظيفة جيدة يا (محمود) ، والراتب الذى تحصل عليه لا بأس به .

قال لها متهكمًا :

- راتب ؟ وهل تسمين هذا راتبًا ؟

- إنه يساوى ضعف راتبى .

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

ـ إن هذه الوظيفة .. وهذا الراتب لا يمكن أن يحقق لنا ما نتمناه .

نظرت إليه وقد أزعجها حديثه قائلة :

ـ هل ستعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

أمسك بكتفيها قائلاً :

ـ (وفاء) .. افهمينى .. إننى أحلم بحياة مختلفة لنا .

ـ نحن لا ينقصنا شىء .. والحياة التى نعيشها الآن أفضل بكثير مما كنا عليه من قبل .

ـ والديون التى لم ننتـه من سدادها بعد ، والتى تلتهم جزءًا كبيرًا من دخلنا ؟ والاحتياجات العديدة التى نحتاج إليها ولم تتوفر لنا بعد ؟

اضطربت وقد أحست بأن ما يقوله لا يعد بداية طيبة لما تريد أن تخبره به ، فقالت له وهى تحاول أن تخفف من انفعاله :

ـ الديون قاربنا على تسديدها .. وكل ما نحتاج إليه سنحصل عليه فيما بعد .

احتد قائلاً :

ـ متى ؟ بعد أن نفقد أحلى سنوات عمرنا ؟

قالت له وقد توترت بدورها :

ـ (محمود) .. ماذا بك ؟ لقد كنت تبدو فى حالة معنوية مرتفعة منذ لحظات .. ما الداعى للعودة إلى مثل هذه الأحاديث الآن ؟

هدأ من نبرته وهو يبتسم لها قائلاً :

ـ آسف يا حبيبتى .. أعرف أننى أبدو أحيانًا شخصًا مزعجًا .. ولكن حبى لك هو الذى يدفعنى إلى التفكير على هذا النحو ..

فأنا أصبو لأن أحقق لك كل الآمال والأحلام التى تدور فى رأسى .. وأن أوفر لك السعادة التى تتمنينها .

استكانت مرة أخرى وهى تلقى برأسها على صدره قائلة :

ـ لماذا لا تريد أن تفهم ؟ إن كل ما أصبو إليه هو أن أكون إلى جوارك ، وسعادتى الحقيقية فى أن يدوم ذلك الحب بيننا .

أحاط كتفها بذراعه قائلاً :

ـ حسن .. والآن دعينا نرى ماذا أعددت لنا من طعام ؟

ابتسمت له قائلة :

ـ لقد أعددت لك اليوم كل الطعام الذى تحبه .

جلس (محمود) يتناول طعامه وقد لاحظ أن زوجته لا تأكل كما يجب . وأنها تبدو مشغولة الفكر على نحو ما .

فسألها قائلاً محاولاً جذب انتباهها إليه :

ـ هل عدت من عملك مبكرًا ؟

أجابته قائلة وقد بدا لها هذا بداية مشجعة :

ـ نعم .

ـ لهذا تمكنت من إعداد كل هذا الطعام الرائع .

ـ كلا .. لقد أعددته بالأمس .

قال لها وهو يحاول الوصول إلى سبب انشغالها بالتفكير على هذا النحو :

ـ إذن .. ماذا فعلت منذ أن جئت إلى المنزل ؟

هزت كتفيها قائلة :

ـ لا شىء .. فقد كنت أنتظرك .

قال لها وهو يتناول طعامه :

ـ من أجل المفاجأة .. التى لا تريدين إخبارى بها .

أجابته قائلة :

ـ نعم .

ـ إنك تثيرين فضولى حقًا .. ألا تخبريننى ما هى هذه المفاجأة التى تخفينها عنى الآن .

قالت له بنبرة جادة :

ـ (محمود) .. إننى حامل .

كان فى سبيله لكى يتناول ملعقة من الأرز حينما توقف عن ذلك .. وأعاد الملعقة إلى مكانها فى الطبق .. قائلاً فى دهشة :

ـ ماذا تقولين ؟

قالت له وقد أقلقها ذلك الانزعاج الذى بدا على وجهه :

ـ أقول لك إننى حامل .

علت نبرات صوته قليلاً وهو يقول :

ـ لابد أنك تمزحين !

قالت له بنفس النبرة الجادة :

ـ كلا .. لا يمكن أن أمزح فى أمر كهذا .

قال لها بنفس النبرة المرتفعة :

ـ كيف حدث هذا ؟

ـ كما يحدث لأى اثنين متزوجين .

قال لها بعصبية واضحة :

ـ أعنى .. كيف تأكدت من أنك حامل .

ـ لقد أحسست ببعض التعب وبدوار فى أثناء جلوسى إلى مكتبى فى العمل .. فاصطحبتنى إحدى زميلاتى إلى طبيب الشركة ، الذى حولنى بدوره إلى طبيبة إخصائية أخبرتنى بأننى حامل .

قال لها وكأنه لا يريد أن يصدق :

ـ كلا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا .. ربما تكون هذه الطبيبة قد أخطأت .

ـ لكنها أكدت لى أن لدى جميع أعراض الحمل .. كما أن التحليل أثبت ذلك .

أزاح الطعام من أمامه قائلاً بانفعال :

ـ وكيف سمحت لهذا أن يحدث ؟

قالت له وقد خاب أملها فى رد فعله إزاء سماعه لهذا الخبر :

ـ وهل كان يمكننى أن أمنع حدوثه ؟

صاح قائلاً :

ـ بالطبع .. كان يمكنك ذلك لو حافظت على استخدام الأقراص المانعة للإنجاب بانتظام .

ـ ربما أكون قد نسيت تناول أحد هذه الأقراص فى يوم ما و ...

قاطعها قائلاً بحدة :

ـ نسيت أم تعمدت ألا تتناوليها ؟

قالت له وقد آلمها أن يكون هذا موقفه :

ـ أقسم لك ...

قاطعها مرة أخرى قائلاً بنفس الحدة :

ـ لا تقسمى بشىء لأننى لن أصدقك .. فقد كنت تلحين علىَّ دائمًا فى هذا الأمر .. برغم أننى حذرتك مرارًا من حدوثه .

قالت له بتضرع :

ـ ألا تتوق مثلى لأن يكون لنا طفل ؟

قال لها وهو يضرب بيده على المائدة :

ـ ليس الآن .. ليس هذا هو التوقيت المناسب .. فأنت تعرفين جيدًا أن ظروفنا لا تسمح بذلك .. وقد عاهدتنى على أن نرجئ هذا الأمر .. حتى تتحسن ظروفنا ، وعندما أسمح لك بذلك .

ـ لكنك لا تريد أن تصدق أننى لم أتعمد حدوث هذا الحمل .

قال لها بنبرة حاسمة وهو يغادر المائدة دون أن يستكمل طعامه :

ـ حسن .. لم يعد هناك مجال للمناقشة فيما إذا كنت قد تعمدت حدوث الحمل أم لا .

لم يعد أمامك الآن سوى تصرف واحد .. وهو أن تتخلصى من هذا الحمل !

نظرت إليه وهى غير مصدقة قائلة :

ـ ماذا تقول ؟

حدجها بنظرة صارمة قائلاً :

ـ ما سمعته .. لابد من التخلص من هذا الجنين .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ هل جننت ؟ كيف تطلب منى شيئاً كهذا ؟

قال لها وقد زاد وجهه صرامة :

ـ لأننى لست مستعداً لتحمل مسئولية إنجاب طفل فى هذه المرحلة من حياتى .

قالت له وهى تنتحب :

ـ هذا مستحيل .. لا يمكننى أن أفعل ما تطلبه منى .

ـ بل لابد أن تفعلى ذلك .

قالت له وقد عادت للتوسل :

ـ (محمود) .. إن حلمى الحقيقى هو أن يكون لى طفل منك .

قال لها بجفاء :

ـ إن ظروفنا لا تسمح بذلك الآن .

ـ لكن هذا أمر يخالف الشرع والدين .

ـ إنها مسئوليتك .. فأنت التى سمحت بمخالفة ما اتفقنا عليه منذ البداية .

قالت له بإصرار :

ـ لا يمكن أن أفعل ذلك .

نظر إليها بتحد قائلاً :

ـ أتدركين عاقبة ذلك ؟

قالت له بتحد مماثل :

ـ لن أتخلص من طفلى مهما كانت العواقب .

قال لها بهدوء هذه المرة :

ـ حسن .. سأجمع حاجياتى وأترك لك المنزل .. ولا تحاولى أن تلتقى بى أو تبحثى عن مكان إقامتى .. لأننى لن أسمح بحدوث أى لقاء أو حديث بيننا بعد الآن ..

★ ★ ★

٢ - عُد إليّ ..

سألتها صديقتها :

ـ ألم يعد زوجك إلى المنزل بعد ؟

قالت لها (وفاء) بنبرة حزينة :

ـ نعم .. إنه ما زال مصرًا على الابتعاد عن المنزل .

قالت صديقتها :

ـ لا أفهم معنى تصرف زوجك هذا .. كيف يغضب ويترك المنزل على هذا النحو من أجل خبر يسعد له أى زوج لم يسبق له الإنجاب ؟

إننى أذكر كيف أن زوجى كاد يطير فرحًا عندما أخبرته بأمر حملى الأول .

ـ إن (محمود) يرى أن ظروفنا لا تسمح بالإنجاب فى الوقت الحالى .

قالت صديقتها بغضب :

ـ أما زلت تحاولين أن تلتمسى له الأعذار ؟

أىّ ظروف هذه التى يتحدث عنها ؟ إن ظروفكما

ليست سيئة إلى هذا الحد الذى يجعله يتخذ منك موقفًا كهذا لمجرد أنك سترزقين منه بطفلك الأول .

هناك آخرون ظروفهم أسوأ منكما وأشد قسوة ، ومع ذلك لا يتخذون موقفًا كهذا الذى يفعله زوجك .

ـ لا أدرى يا (صفاء) .. ربما أنه غاضب لأننى لم ألتزم باتفاقنا معًا بهذا الشأن .

قالت لها (صفاء) مستنكرة :

ـ لماذا تحاولين أن تحملى نفسك مسئولية ما حدث ؟ إنك لم تتعمدى حدوث ذلك الحمل .. فلا داعى للاستمرار فى محاولة إلقاء اللوم على نفسك .

تنهدت (وفاء) قائلة :

ـ ربما أكون دون أن أدرى قد تعمدت حدوث هذا الحمل .

ـ كيف ؟

ـ لا أعرف .. ولكن أظن أننى فى عقلى الباطن تمنيت .. بل وسعيت للإنجاب من (محمود) لأننى كنت أتمنى أن أرزق بطفل منه .

ـ حتى لو كان هذا صحيحًا .. فلا يمكن أن يلومك من أجل هذا .

لقد أردت أن ترزقى بطفل منه لأنك تحبينه .. ولأن من حقك أن تشبعى غريزة الأمومة لديك .

- ولكن هأنذا فى سبيلى لكى أفقد (محمود) من أجل ذلك .

- لا تشغلى نفسك بهذه المخاوف .. فسوف يعود إليك آجلاً أم عاجلاً .

- كلا يا (صفاء) .. إننى أعرف (محمود) جيدًا عندما يغضب أو يتخذ موقفًا فهو لا يتراجع عنه بسهولة .

- لو كان يحبك حقًا .. فسوف يعود إليك ويتقبل الأمر الواقع .

بل أظن أنه سيسعد مثلك فيما بعد بهذا الطفل .

قالت لها وكأنها تتعلق بهذا الأمل :

- أتظنين أن ذلك سيحدث حقًا ؟

- بل إننى واثقة من ذلك .

- لكنه رفض أية محاولة منى للتصالح معه .

- لأنك بلهفتك الزائدة عليه .. وإفراطك فى إظهار عواطفك نحوه تسمحين له بالتدلل عليك .. والتمسك بعناده .

- إننى لا أريد أن أفقده .

- ومن قال إنك ستفقدينه ؟

- عندما تحدثت إليه فى المرة الأخيرة .. أخبرنى أنه يفكر فى الانفصال عنى .

قالت لها صديقتها بدهشة :

- هل قال ذلك حقًا ؟

ثم ما لبثت أن استطردت قائلة :

- لا أظن أنه يعنى ما قاله .

- إن الأيام التى ترك فيها المنزل تحولت بالنسبة لى إلى كابوس مزعج فكيف لو أنه ...

قاطعتها صديقتها قائلة :

- تخلى عن هذه الأفكار .. فـ (محمود) يحبك ولا يمكن أن يتخلى عنك بمثل هذه السهولة .

ثم .. ثم لو أنه يفكر حقًا فى الانفصال عنك من أجل سبب كهذا فهذا يعنى أنه لا يحتفظ لك بأية مشاعر حقيقية ..

برغم أن كلنا نعلم عمق هذه المشاعر التى ربطت بينكما منذ سنوات الدراسة .. والتى توجتماها بالزواج .

لقد كان حبكما مضربًا للأمثال .. وتحديًا للقول الشائع بأن الحب الذى يجمع بين زملاء الدراسة مآله الفشل .

ـ وهذا ما يجعلنى أصرّ على الحفاظ على هذا الحب .

لذا سأعمل على استرضاء زوجى وإعادته إلى المنزل مهما بذلت فى سبيل ذلك .

ـ لا تقولى إنك تفكرين فى التخلص من الجنين .

ـ كلا بالطبع .. هذا الجنين رمز للحب الذى يجمع بينى وبين (محمود) .. لذا لا يمكننى أن أتخلى عنه .

لكنى مع ذلك سأعمل على ألا يطول ابتعاد زوجى عنى أكثر من هذا .

ـ كيف ؟

ـ لا أدرى .. ولكن لا بد أن هناك وسيلة ما لمواجهة ما حدث .. والحيلولة دون استمراره .

★ ★ ★

دخل (محمود) إلى مقر عمله .. متوجهًا إلى حجرة رئيسه مباشرة .

لكن أحد زملائه استوقفه قائلاً :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

قال (محمود) :

ـ إننى أرغب فى الحصول على إجازة .. لذا سأتقدم بطلب إلى (رائف بك) .

قال له زميله بدهشة :

ـ ما قصتك مع الإجازات هذه الأيام ؟ لقد قاربت على استنفاد رصيدك منها .

قال له (محمود) بعصبية :

ـ وما شأنك أنت بهذا ؟

ابتسم زميله قائلاً وهو يحاول تهدئته :

ـ حسن .. أنت حر .. لا داعى للانفعال هكذا .

هم (محمود) بالتوجه إلى حجرة رئيسه .. لكن زميله استوقفه وهو يستطرد قائلاً :

ـ اذهب إلى مكتبك أولاً .. فزوجتك تنتظرك هناك .

نظر إليه (محمود) بدهشة قائلاً :

ـ زوجتى ؟!

قال له زميله :

ـ نعم .. لقد حضرت منذ ربع ساعة .. وهى تنتظرك فى حجرتك .

توقف (محمود) عن مواصلة طريقه ، واندفع إلى حجرته ليفتح بابها بعنف حيث كانت (وفاء) جالسة فى انتظاره .

وما إن رأته حتى هبت واقفة وهى تردد اسمه بلهفة قائلة :

ـ (محمود) !

لكنه قال لها بجفاء :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قالت له بصوت خفيض :

ـ (محمود) .. لا يمكنك أن تبتعد عن منزلك أكثر من هذا .. أرجوك عد إلى المنزل .

ـ أنت تعرفيننى جيدًا .. فأنا لا أتراجع فى قرار اتخذته .

إننى لن أعود إلى المنزل إلا لو تخلصت من هذا الجنين .

ـ إننى لا أتصور أنك ما زلت مصرًا على ذلك .

لقد ظننت أن ما قلته كان وليد انفعال طارئ سببه مفاجأتك بالخبر ، لكنى لم أعتقد أنك ستستمر فى موقفك هذا تجاهى .

قال لها بنفس النبرة الجافة :

ـ هل انتهيت ؟

قالت له مستعطفة :

ـ (محمود) .. أرجوك لا داعى لأن نفسد حياتنا من أجل خبر يسعد له الآخرون .. لقد كنت أظن أنك ستسعد لهذا الخبر كأى زوج محب .

ـ لقد خالفت ما اتفقنا عليه .. وأنا لا أحب أن يخدعنى أحد .

قالت له بانفعال :

ـ لكنى لم أحاول أن أخدعك .. ولم أتعمد أن يحدث هذا الحمل .

ـ إن عليك أن تصححى هذا الخطأ .

ـ لا يمكن أن يعد مولد طفل لنا وكأنه معصية أو خطأ .. إن الخطأ الحقيقى هو ما تقول .

ـ إذن .. فليس هناك مجال للمناقشة .

قالت له باستسلام :

ـ على أية حال .. سأنتظر عودتك إلى المنزل .. وأرجو أن تعود إليه قريبًا .

ظل جامدًا فى مكانه وقد أولاها ظهره دون أن يقول شيئًا .

بينما غادرت حجرته وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .

إنها لم تتصور قط أن يكون هذا هو موقفه حيالها ..

كانت تظن أن الحب الذى يجمع بينهما سيجعل لهذا الخبر وقعًا آخر فى نفسه ، وأنه حتى لو كان قد أبدى اعتراضًا فى البداية .. فلابد أن حبه لها وتحرك مشاعر الأبوة فى نفسه ، سيتغلب على أى إحساس آخر .

لكنه كان قاسيًا فى موقفه منها .

وأشد قسوة إزاء طفله الذى لم يره .. والذى يرفض وجوده .

كيف يطالبها بالقضاء عليه وهو ثمرة حبهما ؟

وكيف ما زال مستمرًا فى التفكير فى هذا الأمر ؟

قالت لنفسها وهى تحاول التغلب على دموعها :

ـ لماذا تبدو قاسيًا هكذا يا (محمود) ؟

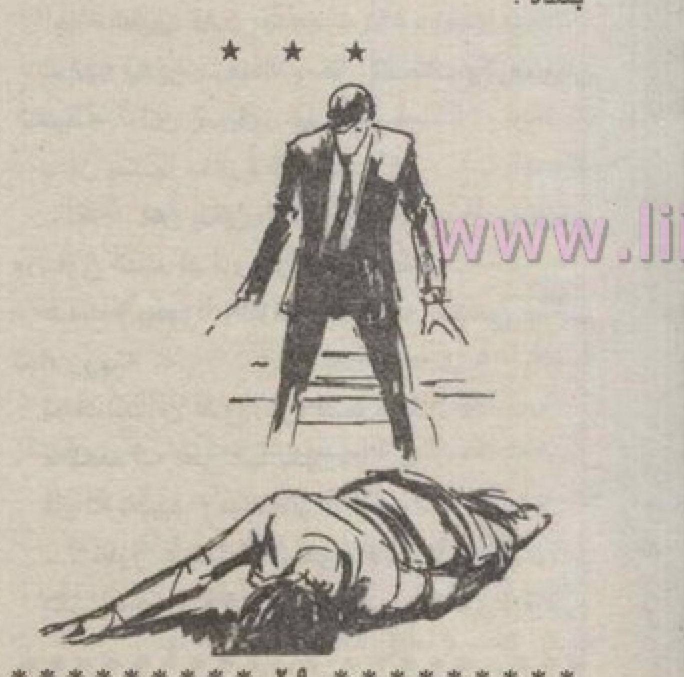
وتخطت الدهليز الذى توجد به حجرته وقد فقدت سيطرتها على مشاعرها هذه المرة فأجهشت بالبكاء .

وما كادت تهبط بضع درجات فى السلم المؤدى

إلى الطابق السفلى ، حتى وجدت نفسها وقد اختل توازنها ، وانزلقت فوق درجاته بعنف شديد .

واندفع (محمود) خارجًا من حجرته على إثر صياح بعض العاملين بالإدارة لدى رؤيتهم لما حدث .. حيث وجد زوجته فى حالة يرثى لها وهى تنزف بشدة .

* * *



٣ - خذنى معك ..

سأل (محمود) الطبيب بانزعاج قائلاً :

- ما هى حالتها الآن يا دكتور ؟

أجابه الطبيب قائلاً :

- إنها بخير .. هناك بعض الكدمات والرضوض البسيطة .. لكن إصابتها غير خطيرة .

- هل يمكنها مغادرة المستشفى ؟

- نعم .. لكن يتعين علىّ أن أخبرك بأن سقوطها من فوق السلم قد أدى إلى فقدها للجنين .

صمت (محمود) لبرهة وقد تملكه إحساس بالذنب تجاه زوجته ..

ثم ما لبث أن أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- الحمد لله على أنها بخير .

قال له الطبيب وهو ينصرف :

- لا تحزن فيمكنكما أن تعوضاه فى المستقبل .

دخل (محمود) إلى حجرتها حيث كانت راقدة فى

فراشها ، وقد أدارت وجهها إلى اتجاه النافذة دون أن تبدى حراكاً .

وقف بجوار الباب للحظات .. قبل أن يقترب من الفراش .. قائلاً بصوت خافت ملىء بالندم :

- حمداً لله على سلامتك يا حبيبتى .

تنبهت لوجوده فأدارت وجهها إليه ، وقد هاله أن يرى آثار العبرات التى انسابت فوق وجنتيها وقد بللت وسادتها .. لتكشف عن مدى الحزن والألم الذى يجتاحها .

سألها وقد أحزنته رؤيتها على هذا النحو قائلاً :

- هل كنت تبكين ؟

لكنها لم تجبه .. بل حدجته بنظرة اتهام أطلت من عينيها المغرورقتين بالعبرات ..

اقترب منها أكثر وهو يجلس بجوارها قائلاً بخجل :

- لقد طمأننى الطبيب منذ لحظات على حالتك الصحية .. وأخبرنى بأنك تستطيعين العودة إلى المنزل .

لكنها أشاحت بوجهها إلى النافذة مرة أخرى .

حاول أن يمسك يدها لكنها جذبتها من يده بشدة كما لو كانت لا تطيق ملامسة أصابعه لها .

حاول أن يتكلم .. فخرج صوته متلعثمًا وهو يقول :

- (وفاء) .. أنا .. أنا ...

قالت له بصوت يشيع فيه الحزن :

- لا بد أنك قد عرفت أننى فقدت الجنين .

مرت بينهما برهة من الصمت أحس خلالها بالعجز عن أن يقول شيئًا .

بينما استطردت قائلة :

- أظن أن هذا يرضيك الآن .

قال لها معتذرًا :

- أنا آسف لما حدث .

نظرت إليه وقد تحجرت عيناها قائلة :

- آسف ؟ لا يمكن أن تكون آسفًا .. فهذا يناسب ما أردته تمامًا .

قرب وجهه من وجهها قائلاً :

- صدقينى .. لقد تبينت مدى خطئى وذنبى فى حقك حينما علمت بفقدك لطفلنا .

قالت له متهكمة :

- طفلنا ؟ الآن تدعوه طفلنا ؟ وقد كنت تنظر إليه كما لو كان شيئًا دنسًا يتعين التخلص منه .

حاول أن يبرر تصرفه قائلاً :

- صدقينى .. لقد كنت أريد هذا الطفل أكثر منك .. ولكن ليس فى الوقت الحالى .

لكنى أردت أن يأتى هذا الطفل ونحن فى حالة ميسرة تكفل لنا تربيته على أحسن وجه ، وتنشئته على أفضل صورة .

لم أرد له أن يقاسى الحرمان الذى عشته والمعاناة التى عرفتها فى طفولتى وصباى بين أربعة من الإخوة .. كان أبوهم يعجز أحيانًا عن إشباع جوعهم ، ويعجز غالبًا عن توفير سبل الحياة الكريمة لهم .

قالت له بصوت متهدج :

- لكننا لسنا فقيرين إلى هذا الحد الذى يعجزنا عن تربية طفل .

يجب أن تعترف بأنك أنت الذى جعلت طموحك يطغى على ما عداه من مشاعر .. بل وأسمى المشاعر .. تلك المشاعر التى يحسها أى رجل فى سبيله لأن يصبح أبًا .

قال لها معتذرًا :

- سامحينى يا (وفاء) .. إننى أعترف بذنبى ..

ولكننى سأحاول أن أصحح الخطأ الذى ارتكبته فى حقك .

قالت له وهى تشيح بوجهها عنه مرة أخرى :

ـ لن أسامحك أبدًا على تسببك فى فقد طفلى .

ـ لكننى لم أتسبب فى ذلك .

ـ بل أنت السبب .. عندما غادرت حجرتك كنت فى أسوأ حالاتى النفسية .. وكان تصرفك معى بمثابة صدمة جعلتنى عاجزة عن الرؤية وعن التفكير .. ووجدت نفسى أنزلق فوق درجات السلم وأنا أحاول أن أبحث عن تفسير لتصرفك الذى لا يتفق مع كل مشاعر الحب التى تجمع بيننا ، لكنى أظن أنك مستريح للنتيجة النهائية التى انتهى إليها الأمر .. فقد تدخل القدر ليسلبك الطفل الذى لا تريده .. ربما لأنك لا تستحقه .

ـ معك حق فيما تقولينه .. لكنى أعرف أنك ستغفرين لى برغم ذلك ، فأنت واثقة من حبى لك .. وتعرفين جيدًا أننى كنت سأعود إليك .. وأن مشاعر الغضب والانفعال ستذهب ولا يبقى بعدها سوى مشاعر الحب الذى يجمع بيننا .

هيا يا حبيبتى .. هيا لتغادرى هذا الفراش ونعود معًا إلى منزلنا .

قالت له معاتبة :

ـ لقد توسلت إليك أن تعود إلى هذا المنزل لكنك كنت ترفض .

ـ كان لابد أن أعود .

سيكون من الصعب على أن أتعايش معك فى الفترة القادمة بعد ما حدث .

ـ بل سنتعايش معًا .. وسننسى ما حدث .

ومد لها يده قائلاً :

ـ هيا يا حبيبتى .

لكنها رفضت أن تمد له يدها .

وفى تلك اللحظة سمعا طرقات على الباب ودخلت صديقتها (صفاء) .

حيث اندفعت نحوها قائلة باهتمام وقد تجاهلت زوجها :

ـ كيف حالك الآن يا (وفاء) ؟

قالت (وفاء) وهى تعتدل فى فراشها :

ـ إننى بخير .. لقد أتعبتك معى يا (صفاء) .

ـ لا تقولى هذا .. الحمد لله ، لقد طمأنتنى الطبيب عليك .

وجلست بجوارها على الفراش وهى تنظر لزوجها شذرًا .. وقد اضطر للابتعاد قليلاً .. حيث أحاطت كتفها بأحد ذراعيها قائلة :

ـ إننى آسفة بشأن الطفل .

تدخل زوجها فى الحديث قائلاً :

ـ لقد كنا على وشك الانصراف .

لكن (صفاء) قالت له بحدة :

ـ هل أنت سعيد لهذه النتيجة ؟

قال لها وقد ارتسمت على وجهه ملامح الضيق :

ـ من فضلك .. لا أظن أن الوقت ولا الظروف تسمح بتدخلك فى مثل هذه الأمور الشخصية .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ من فضلك أنت ! حافظ على زوجتك ولا تعرضها لشىء كهذا مرة أخرى فهى تحبك بأكثر مما تتصور .

انفرجت أساريره للمرة الأولى وهو ينظر إلى زوجته قائلاً :

ـ وأنا أيضًا أحبها حبًا جمًا .

وتبدلت لهجته وهو يتحدث إلى صديقتها هذه المرة قائلاً :

ـ لو سمحت ساعديها على تبديل ثيابها ، ريثما أحضر سيارة أجرة لتقلنا إلى المنزل .

قالت (صفاء) :

ـ لا داعى لذلك .. فأختى تنتظرنا فى سيارتها أمام باب المستشفى ، وقد جئت خصيصًا لكى أقلها إلى المنزل بنفسى .

★ ★ ★

مد لها يده وهو يفتح باب الشقة قائلاً :

ـ تفضلى يا حبيبتى .

لكنها رفضت أن تمسك بيده مرة أخرى .. وفضلت أن تدخل دون أن تستند إليه .

أحست ببعض الألم من تأثير الإصابة وهى تخطو داخل شقتها فساعدها على الجلوس فوق الأريكة .. ثم جلس بجوارها قائلاً :

ـ أما زلت غاضبة منى ؟

ـ لقد قلت لك .. إننى لن أستطيع ...

لكنه سارع بوضع إصبعه على فمها بلطف قائلاً :

ـ لا تقولى شيئًا .. عدا أنك تحبيننى .
ـ لم أعد ...
قاطعها مرة أخرى قائلاً بصوت هامس ودافئ :
ـ لم تعودى تحبيننى .. إنك كاذبة .. وعيناك الجميلتان هاتان لم تعتادا الكذب .. ولم تفلحا فى الكذب علىَّ .
أجهشت بالبكاء قائلة :
ـ لقد كنت أريد هذا الطفل .
ابتسم قائلاً وهو يحيط عنقها بيده برفق ويضع رأسها على كتفه :
ـ سيكون لنا أكثر من طفل فيما بعد
ـ ألن تطالبنى بالتخلص منه وتهجر المنزل من أجل مجيئه ؟!
مسح بيده على شعرها فى حنان قائلاً :
ـ بل سأسعد كأى زوج يعرف أنه فى سبيله لكى يكون أبًا .. وأن زوجته التى يحبها ستنجب له طفلا يحمل اسمه .
أكثر من ذلك ربما رأيتنى أقفز فرحًا حينما أتلقى نبأ كهذا .

استكانت بين ذراعيه قائلة وقد بدأت نفسها تهدأ قليلاً :
ـ وماذا عن الظروف المادية غير المناسبة .. وكل تلك الأفكار التى تدور فى رأسك ؟
ـ ستتبدل الظروف إلى الأفضل .. وسأسعى لتغيير أحوالنا المادية لتوفير الحياة التى أتمناها لنا وللأطفال الذين سننجبهم .
قالت له وهى ما زالت مستكينة بين ذراعيه :
ـ كيف ؟
ـ سأسافر إلى الخارج !
رفعت رأسها عن كتفه وهى تنظر إليه بانزعاج قائلة :
ـ ماذا تقول ؟
ـ سأسافر لأعمل بأحد البلدان العربية .. ذلك هو الحل الوحيد لتحسين ظروفنا المادية .
ـ لكنك لم تخبرنى عن شىء كهذا من قبل .
ـ لأننى لم أتخذ قرارًا إلا منذ بضعة أيام قليلة فقط .
ـ لكن السفر يعد مخاطرة دون ضمان وجود فرصة عملٍ حقيقية .
ـ إن أمامى فرصة للتعاقد على وظيفة جيدة فى الكويت .. وبراتب مجز .. كنت مترددًا فى البداية ..

لأننى لم أعتد السفر والاغتراب .. لكنى قررت الموافقة فى النهاية .

سألته وقد ازداد انزعاجها :

ـ وكيف استطعت الحصول على هذا العقد ؟

ـ من خلال زميل لى يعمل هناك .. وسيتعين على أن أسافر خلال الأسبوعين القادمين لاستلام العمل .

ـ بهذه السرعة .. إذن فقد كنت تنوى أن تسافر ونحن متخاصمان .

ـ لا أخفى عليك ذلك .. ولكنى كنت سأخبرك بالطبع قبل سفرى .

قالت له معاتبة :

ـ أشكرك على أية حال لأنك كنت ستتكرم وتخبرنى بهذا الأمر .

ابتسم وهو يحيط كتفها بذراعه قائلاً :

ـ لا أظن أننى كنت سأستمر فى هذا الخصام طويلاً .. وعلى أية حال .. لقد تصالحنا الآن .. وانتهى الأمر .

قالت له (برجاء) :

ستأخذنى معك .. أليس كذلك ؟

* * *

٤ ـ أحبك دائمًا ..

قال (محمود) وهو يتحاشى عينيها :

ـ مع الأسف .. لا أستطيع أن أصحبك معى الآن .. فالعمل الذى سأذهب إليه لا يشمل وجود مرافق معى أو توفير مسكن زوجية مناسب .

قالت وقد اضطربت حواسها :

ـ هل ستتركني هنا بمفردى ؟

قال لها مطمئنا :

ـ عندما تتحسن ظروفى هناك .. وأتمكن من تثبيت أقدامى فى المكان الذى أعمل به فسوف أستدعيك للحضور إلىّ بالطبع كى نعيش معًا .

ـ لكنى لا أستطيع أن أبقى هنا بمفردى .

ـ إنها فترة مؤقتة .. ويتعين علينا أن نتحملها .. وبعدها ستختلف الظروف بالنسبة لكلينا ..

ـ (محمود) .. لا داعى لهذا السفر .. إن ظروفنا هنا ليست سيئة إلى الحد الذى يدعوك للاغتراب ، ويباعد بيننا على هذا النحو .

ـ قلت لك إنها فترة مؤقتة وبعدها أرسل فى استدعائك .. وهذا العقد يعد فرصة ذهبية يتمناها أى شخص .. لأن قيمة العقد تتضمن راتبًا مجزيًا للغاية .. وإذا استطعت العمل هناك بضعة أعوام متواصلة .. فإننى سأتخلى عن الوظيفة هنا .. وأتفرغ لإقامة مشروع تجارى يوفر لنا الحياة الرغدة التى أتمناها ..

ونظر إليها مبتسمًا وهو يردف قائلاً :

ـ سنصبح من الأثرياء .. ووقتها سأرحب بوجود عشرة أبناء لى وليس ابنًا واحدًا .

ـ إذن فأنت مُصرّ .

قبل جبينها قائلاً بحنان :

ـ إننى أفعل ذلك من أجل كلينا .. ومن أجل الأسرة التى أحلم بها ..

لا أريد أن يتكرر ما حدث بيننا من خصام وخلاف كاد أن يفسد العلاقة بيننا .. وحرمنا من الطفل الذى يرجوه كل أب وكل أمّ كما قلت .

إذا سافرت فلن أحمل همًا لطفل لا أضمن له حياة كريمة ومريحة كتلك التى طالما حلمت بها وحرمت منها .

أرجوك يا (وفاء) .. شجعينى على أن أحقق لك ولى وللأبناء الذين نرجوهم تلك الحياة التى أحلم بها .

قالت له مستسلمة :

ـ مادمت قد قررت فلا أستطيع أن أمنعك .. وليس أمامى سوى أن أرجو لك التوفيق فى عملك هناك .. والقدرة على تحقيق ما تتمناه .

قبل يدها قائلاً :

ـ أشكرك يا حبيبتى .. وصدقينى أننى سأقاسى مثلك مرارة الفراق .. لكنى أعدك بأن يكون فراقنا قصيرًا للغاية .

احتضنت أصابعها أصابعه وهى تنظر إليه قائلة :

ـ هل تعدنى بذلك حقًا ؟

ـ أتظنين أن من السهل على أن أكون بعيدًا عنك ؟ إن كلينا ينتمى للآخر .. وكلانا لا يستطيع أن يحيا بدون الآخر لفترة طويلة من الزمن .

قالت له بدلال :

ـ لكنك تمكنت من الابتعاد عنى خلال الأيام الماضية ، وكنت قاسيًا معى على نحو جعلنى أشعر بأنك تستطيع أن تتخلى عنى بسهولة .

- لقد كنت غاضبًا منك وعاتبًا عليك .. على نحو جعلنى أتصرف معك بلا وعى .. لكن بالتأكيد لم أكن لأستطيع أن أستمر فى هذا طويلاً .

- حقا ؟

- هل نسيت أن حبنا كان مثلاً يحتذى للآخرين ؛ أتظنين أنه يمكن لأحدنا أن يستهين بهذا الحب مهما واجهنا من أزمات ؟

- إن كلامك هذا يعيد الطمأنينة إلى قلبى .

نظر فى عينيها قائلاً بدفء حقيقى :

- لست بحاجة لكلمات لكى أعبر لك عن حبى .. ومقدار ما أكنه لك من مشاعر .. فأنت بالنسبة لى لست مجرد زوجة .. بل حبيبة عمرى .. التى طالما حلمت بها ، وستظلين دائمًا حبيبتى التى لا يمكننى الاستغناء عنها .

- ألن يأتى يوم تتحول فيه مشاعرك ؟

- لو غادر قلبى مكانه فى جسدى لأمكن لمشاعرى أن تتحول عنك .

احتضنته وهى تدفن رأسها فى صدره قائلة بانفعال :

- إننى أحبك كثيرًا يا (محمود) .

عاد ليمسح بيده على شعرها قائلاً :

- أظن أنه لا يمكن لأحد أن يتصور أننا مازلنا نحمل لبعضنا هذا القدر من الحب برغم مرور ثلاث سنوات على زواجنا .

- إن هذه السنوات الثلاث قد زادت من حبى لك .

- إنك بهذا تصعبين الأمر علىَّ وقد تدفعيننى إلى تغيير رأيى فى مسألة السفر هذه .

قالت له برغمها :

- كلا يا حبيبى .. إننى أعرف مدى أهمية هذا السفر بالنسبة لك .. وأنك تبنى عليه آمالاً كبيرة .. لذا لن أحول بينك وبينه .. بشرط أن تنفذ وعدك لى وتدعنى أذهب إليك فى أقرب وقت .

- سأبذل كل جهدى من أجل ذلك .

★ ★ ★

برغم إجراءات السفر التى استغرقت جهدًا ووقتًا طويلاً من (محمود) خلال الأيام التالية .. إلا أنه كان حريصًا على أن يقضى أطول وقت برفقة زوجته .

وحصلت (وفاء) على إجازة من عملها لمدة عشرة أيام لكى تكون بجواره قبل أن يرحل عنها .

لكن الدفء الذى أحاطها به خلال تلك الأيام لم يفلح فى أن يخفف من اضطرابها ومخاوفها كلما اقترب موعد سفره .. وأحست أنها على وشك أن تفارقه .. وكم تمنت ألا يأتى هذا اليوم أبدًا !

لكن كان لا بد أن يأتى .. وكان محتمًا عليها أن تعيش تلك اللحظة المريرة وهى تودعه قبل سفره .

فى تلك الليلة التى سبقت سفر (محمود) .. جاهدت (وفاء) لكى تتغلب على دموعها .. لكنها لم تتمكن من ذلك .. فقد كان الأمر أقوى منها .. وإحساسها بأنه سيفترق عنها لفترة طويلة جعل مشاعر الكآبة تسيطر عليها دون أن تستطيع التخلص منها .. ولم يعد أمامها سوى أن تجاهد لكى تخفى عنه هذه العبرات وتلك المشاعر .. حتى لا تتسبب فى إيلامه .

أحست به وهو يتقلب فى فراشه بكثرة .. فمسحت آثار العبرات التى بللت وجنتيها .. وحاولت أن يبدو صوتها طبيعيًا وهى ترتكز على مرفقها لتضع يدها على ذراعه قائلة :

ـ (محمود) .. ألم تنم بعد ؟

تنهد قائلاً :

ـ يبدو أننى سأعجز عن النوم هذه الليلة .

ـ لكنك ستسافر بعد بضع ساعات ولا بد أن تحصل على قسط من النوم .

اعتدل على ظهره وهو ينظر إليها طويلاً وقد أخذ يمرر أصابعه بين خصلات شعرها المتهدل .

همست له قائلة :

ـ لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

قال لها بنفس النبرة الهامسة :

ـ أريد أن أشبع عينى منك .. إياك أن تقصرى شعرك .. فأنت تعرفين أننى أحبه هكذا .

ابتسمت وهى تتناول يده بين يديها قائلة :

ـ اطمئن لن أقصره .. وسأحتفظ لك دائمًا بالتسريحة التى تحبها .

تشابكت أصابعهما وهو يقول لها :

ـ ترى .. هل سيقدر لى أن أعبث بخصلات الشعر هذه مرة أخرى ؟

وأتأمل عينيك الجميلتين ؟

قالت له بانزعاج :

- لماذا تقول هذا ؟
قال لها بصوت يشع منه الخوف :
- أخشى أن أفقدك .
داعبته وهى تتظاهر بالابتسام قائلة :
- إنك لن تفقدنى إلا بالموت .. وأنا لا أنوى أن أموت بعيدًا عنك .
قال لها بصوت مكتئب :
- أخشى أن أموت أنا بعيدًا عنك .
برغم انزعاجها لكلماته إلا أنها ظلت تتظاهر أمامه بروح مرحة قائلة :
- إياك أن تفعل هذا .. فلن أسامحك أبدًا لو فعلتها !
لم يحاول أن يشاركها دعابتها بل بقى محتفظًا بقسمات الحزن المرتسمة على وجهه وهو ينظر إلى وجهها .
ولم تستطع أن تغالب مخاوفها هذه المرة .. فقالت له وقد ظهرت معالم الانزعاج فى صوتها :
- (محمود) .. إننى لا أحب أن أرى تلك النظرة الحزينة فى عينيك .
كما لا أحب أن أسمع منك تلك الكلمات المقبضة

قبل ساعات من سفرك .. فذلك يقلقنى حقًا ويثير مخاوفى .
- أتظنين أننى لا أشعر بك ؟ أعرف أنك تحاولين التظاهر أمامى بالمرح والصلابة .. لكن هذا لم يفلح كثيرًا فى أن يخفى آثار العبرات فى عينيك .
وأعرف أننى بما أقوله أضيف إلى مشاعرك المثقلة بالحزن عبئًا ثقيلاً .. وأنا آسف لذلك .. لكن كلما اقترب موعد فراقنا كلما عجزت عن مقاومة تلك الأحاسيس الحزينة .
قالت له وهى تمسح بيدها على جبينه :
- لا تعتذر عن شىء يا حبيبى .. فأنا أفهم وأقدر لأننى أشاركك نفس المشاعر .
لكن الأيام والشهور ستنقضى سريعًا ، وسوف نكون معًا قريبًا ليلتئم شملنا مرة أخرى .
وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :
- ألم تعدنى بذلك ؟
قبل يدها فى حنان قائلاً :
- وأنا أيضًا أريد أن تعدينى بشىء .
قبلت يده بدورها قائلة :

ـ ما هو يا حبيبى ؟

ـ لو مُت بعيدًا عنك لا تتركينى أدفن بالخارج .. بل احرصى على أن أدفن هنا فى مقبرة العائلة .

تقلصت ملامحها وهى تقول له :

ـ (محمود) .. لا أحب أن أسمع منك هذا .. أرجوك لا تقل مثل هذه الكلمات مرة أخرى !

انسابت العبرات على وجنتيها فمسحها بيده قائلاً :

ـ لا تبكى .

لكنه لم يستطع أن يقاوم عبراته هو الآخر .. فقد اغرورقت عيناه بالعبرات وهو يحتويها بين ذراعيه قائلاً :

ـ أحبك .

استكانت بين ذراعيه وهى تقول له بصوت يغلب عليه البكاء :

ـ وأنا أيضًا أحبك بأكثر مما تتصوّر .

★ ★ ★



٥ ـ إنـى أفتقـدك ..

تعلقت بذراعه وهى تصحبه إلى المطار .. وقد حاولت مقاومة دموعها .

فقد حان موعد الرحيل .. وعما قريب ستفصل بينهما مسافات بعيدة وسيتعين عليها أن تقضى وقتًا طويلاً دون أن تراه .

وهى التى اعتادت أن تراه يوميًا منذ أن تفتحت بينهما براعم الحب وهما فى الجامعة .. وكانت أطول فترة ابتعد فيها عنها هى تلك الفترة الماضية التى ابتعد فيها على إثر خلافهما بشأن حملها .

وأشفقت على نفسها قائلة :

ـ ربّاه ! كيف سيمكن لهذه الأيام والشهور أن تمر دون أن أراه أو أسمع صوته ؟

كيف سيمكننى احتمال البقاء فى المنزل دون وجوده ؟

لقد قضت ليلة مضنية لم تذق فيها طعم النوم ..

وكل تلك الأفكار والهواجس تطاردها وتهزَ مشاعرها .

لقد أحبت (محمود) كثيرًا .. وتعرف أنه يمثل مكانة كبيرة فى قلبها .. لكنها لم تكن تعرف أنها تحمل له كل هذا الحب الذى يجعل رحيله عنها منبعًا لكل هذه الأحزان التى لم تتهيأ لمواجهتها .

بعد قليل سيتعين عليها أن تفارقه وهو شىء اعتاده الكثير من المحبين والأزواج .. لكنها تشعر كما لو أنه سيأخذ معه برحيله جزءًا من نفسها وروحها .. لقد كان ابتعاده عنها خلال الأيام الماضية برغم ما ينطوى عليه من قسوة من جانبه مريرًا .. فكيف ستقوى على احتمال شهور طويلة يبتعد فيها عنها ؟

وتمنت لو تمكنت من إثنائه عن السفر وأن تطلب منه التراجع عن كل شىء لتعود معه إلى منزلهما مرة أخرى .

لكن هيهات أن يتحقق هذا .. بعد أن وصلا إلى هذه المرحلة .. ولم يكن ليمكنها أن تطالبه بتدمير أحلامه التى سعى وراء تحقيقها من أجل مشاعرها .

قال لها بصوت هامس :

- اعتنى بنفسك جيدًا .

قالت له بصوت خافت ضعيف :

- وأنت أيضًا .

تشبثت بذراعه وهو يستعد لاجتياز البوابة المؤدية إلى صالة الانتظار الداخلية بالمطار .

لكنه خلص ذراعه منها برفق قائلاً :

- أظن أنه يتعين علينا أن نتصافح الآن .

انحدرت دمعة فوق وجنتها لم تتمكن من منعها .. فمسح بيده دمعتها قائلاً :

- هذا ما كنت أخشاه .. لذا لم أرد أن تصحبينى إلى المطار .

قالت له وهى تنتحب :

- ليس الأمر بيدى .. هذا يحدث برغمى .

قال لها بصوت حنون :

- لا داعى لأن نصعب الأمر على أنفسنا أكثر من ذلك .. فقد اتفقنا على كل شىء بالأمس .. فلا تزيدى قسوة هذه اللحظة على .

قالت له وهى تمسح دموعها :

- حسن .. لن أبكى .. لكن لا تنس ما اتفقنا عليه .

لا تدع فراقنا يطول .. فلن أستطيع التأقلم على ابتعادك عنى طويلا .. حينما تستقر الأوضاع بالنسبة لك هناك سترسل فى استدعائى للذهاب إليك على الفور .

- بالطبع .. إننى سأبذل كل طاقتى فى سبيل ذلك .
- ستتصل بى هاتفيًا بمجرد وصولك .
- سيكون هذا أول ما أفعله .
- وترسل لى خطابًا كل أسبوع .
- أعدك بذلك .

تشابكت أصابعهما بينما كان يعبر البوابة الفاصلة بين الصالتين الخارجية والداخلية ، وقد أخذ كل منهما يلوح للآخر فى مشهد مؤثر استلفت انتباه المودعين .

وظلت لبرهة جامدة فى مكانها بعد أن اختفى عن أنظارها ، وقد تلاشى إحساسها بما يدور حولها وأمامها .. ولم يبق سوى إحساس قاتم بالفراغ أخذ يحتويها تدريجيًا .

* * *

شهران كاملان مرًا منذ رحيله دون أن تقوى (وفاء) على التآلف مع الواقع الذى آلت إليه حياتها بدون (محمود) .

فقد ازداد إحساسها بافتقاده مع مرور الأيام .. وشعرت بالوحشة والفراغ الشديد الذى خلفه برحيله يتضاعف يومًا بعد آخر .

وبدت متوترة على غير عادتها خلال هذه الفترة .. كما بدت كما لو كانت قد فقدت الكثير من نضارتها وابتسامتها المشرقة التى اعتاد الآخرون أن يروها على وجهها .

لم يكن هناك ما يخفف من إحساسها بافتقاده ، ويهون عليها - بعض الشىء - الوحشة التى تشعر بها بدونه سوى تلك الخطابات التى كان يرسلها إليها بانتظام .. واتصالاته الهاتفية التى يجريها معها من آن لآخر والتى كانت تطمئن من خلالها على أحواله ، وتبث فيها الأمل فى اللحاق به قريبًا والتئام شملهما من جديد .

لكن تأخره فى الرد على خطابها الأخير جعلها تقلق وزاد من توترها على نحو لاحظه زملاؤها فى العمل .

فقد بدت شاردة حينما سألها أحد زملائها قائلاً :

- (وفاء) .. هل انتهيت من مراجعة الملف الذى قدمته لك ؟

وعندما لم يتلق منها إجابة أعاد عليها السؤال قائلاً :

ـ (وفاء) .. إننى أسألك عن الملف الذى يطلبه المدير .

تنبهت إليه وهى تنتزع نفسها من شرودها قائلة :

ـ نعم .. هل تتحدث إلى يا أستاذ (فوزى) ؟

نظر إليها باستغراب قائلاً :

ـ ماذا بك يا مدام (وفاء) ؟ لقد كررت عليك السؤال مرتين .. لكن يبدو أنك شاردة الذهن تمامًا .

ـ آسفة .

ـ إن المدير يسأل عن الملف الذى أعطيتك إياه لمراجعته .

ـ آه ! سأنتهى منه بعد لحظات قليلة .

نظر إليها بإشفاق قائلاً قبل أن ينصرف مغادرًا الحجرة :

ـ أرجو ذلك .. انتبهى لصحتك يا بنيتى فأنت لا تبدين على ما يرام هذه الأيام .

راقبتها (صفاء) وهى تحاول التركيز فى الملف الموضوع أمامها للانتهاء منه .

ثم ما لبثت أن غادرت مكتبها لتقترب منها وهى تبتسم قائلة :

ـ هل ترغبين فى أية مساعدة ؟

ـ شكرًا .. إن الأمر لا يحتاج إلى مساعدة .

جلست (صفاء) فى المقعد الذى يجاورها وهى تهمس لها قائلة :

ـ بل إنك بحالتك هذه تحتاجين إلى مساعدة حقيقية .. ولا أظن أنك ستستطيعين إنجاز أية ورقة من الأوراق المطلوبة فى هذا الملف ، طالما أنت شاردة هكذا .. وهائمة بأفكارك بعيدًا .

بالطبع كنت تفكرين فى (محمود) .. أليس كذلك ؟ هل أنت أول امرأة يسافر زوجها ؟

لقد سافر زوجى إلى (عمان) من قبل لمدة عامين .. ولم أفعل مثلك هكذا .. وكذلك (نشوى) .. لقد سافر زوجها منذ أربعة أعوام .. وعدا الإجازات القصيرة التى يقضيها معها فى نهاية كل عام فهى لا تراه .. ومع ذلك فهى لا تشكو .. بل تشجعه على الاستمرار فى عمله هناك .

ـ إن الأمر يختلف بالنسبة لى و (محمود) .

تأملتها (صفاء) قائلة :

ـ ألهذا الحد تحبينه ؟

ـ إننى أفتقد أنفاسه فى المنزل .. وأشعر كما لو أننى أفتقد جزءًا من الهواء الذى أتنفسه .

ابتسمت (صفاء) قائلة :

ـ هذا هو السبب فيما آلت إليه حالتك منذ سفره .. فأنت تفرطين فى مشاعرك نحوه على نحو مبالغ فيه .

تنهدت (وفاء) قائلة :

ـ ماذا أقول لك ؟ إنك لن تستطيعى أن تفهمى .

قالت لها وهى تتظاهر بالاحتجاج :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟ أتعنين أننى مجردة من المشاعر ؟

ـ كلا .. ولكنك لم تجربى الحب كما عشته مع (محمود) .

بل إن زواجك لم يبن على الحب أصلاً .

ـ ومع ذلك فإننى أحب زوجى .. ولكن ليس على النحو الذى تعيشينه مع (محمود) .. مشكلتك يا (وفاء) هى أنك رومانسية أكثر مما يجب .

وأنا أشفق عليك من رومانسيتك هذه .. خاصة

وإننى لا أرى أن زوجك على نفس المستوى الذى يتناسب مع هذه المشاعر .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أنه يتعين عليك أن تخففى قليلاً من حالة الوجد هذه التى تعيشينها .. وأن تقتنعى بقدر أقل من العاطفة وأكبر من العقلانية .

ـ وهل هذا بيدى ؟

ـ نعم عليك ألا تحملى نفسك فوق طاقتها .. وأن تتأقلمى مع ظروفك الحالية إلى أن تسافرى لـ(محمود) أو يأتى هو إليك .

ـ لكنك لم تجيبى علىّ حينما سألتك عما كنت تقصدينه حينما قلتِ إن زوجى لا يحمل نفس القدر من المشاعر .

ـ دعك مما قلته .. فقد قلت ذلك إشفاقًا عليك وأنا أراك تتألمين لفراقه هكذا .

ـ بل كنت تعنين شيئًا بذلك .. أتريدين أن تقولى إن (محمود) لا يحبنى .

ـ لم أقل هذا .. لكن ليس نفس القدر من الحب الذى تحملينه له .

- لكنك تعرفين جيدًا أن الحب الذى يحمله كل منا تجاه الآخر حب متماثل متكافئ .
لقد كنت زميلتنا فى الكلية .. وتعرفين الصعاب التى واجهناها للحفاظ على هذا الحب والإصرار عليه .
- لكنى لن أنسى له موقفه منك حينما أخبرته بحملك .
- إننى ألتمس له العذر فى ذلك .. فهناك عقدة مترسبة فى نفسه منذ الطفولة ، بسبب حياة الفقر والحرمان التى عاشها .. وعجز أبويه عن توفير حياة كريمة له ولإخوته لضعف مقدرتهما المادية .
لقد جعله هذا يخشى من تكرار التجربة المريرة التى عاشها بسبب فقره بالنسبة لطفله القادم .
وكان يأمل دائمًا فى أن يأتى هذا الطفل وقد توافر له من الثراء والرفاهية ما حرم منه .
- إذن فقد غفرت له ما حدث بسبب هذا العذر السخيف .
ويا له من عذر ! فلو كان الأمر على هذا النحو لامتنع كل أبوين فقيرين عن الإنجاب .
علمًا بأنكما تعيشان فى مستوى بعيد تمامًا عن

عقدة الفقر هذه التى أراد بسببها أن يضحى بك وبالجنين الذى تحملينه .
قالت لها (وفاء) محتجة :
- (صفاء) .. لماذا تحاولين الإساءة إلى العلاقة التى تربط بينى وبين زوجى ؟
نظرت إليها (صفاء) بدهشة قائلة :
- أنا .. كيف تقولين هذا ؟ إننى فقط أتحدث من زاوية حبى وصداقتى لك .
فأنت تعلمين مقدار إعزازى لك .. لذا لا أحب أن يتسبب أحد فى إيلامك .
كما أننى لا أريد أن أراك تعانين وأحاول مساعدتك على اجتياز الأزمة التى تعيشينها بسبب سفر زوجك ، خاصة وأننى أراك اليوم على غير ما يرام بخلاف ما كنت عليه الأسبوع الماضى .. فعلى الأقل كنت أقل توترًا وذبولاً مما أنت عليه الآن .
- إننى لم أتلق أية رسائل من (محمود) منذ ثلاثة عشر يومًا .
- ربما كانت ظروفه لا تسمح بكتابة خطابات فى المرحلة الحالية .

ـ لا أظن أن هناك ظروفًا يمكن أن تحول بينه وبين أن يكتب لى خطابًا أو يتصل بى هاتفيًا .. إلا إذا .. إلا إذا كان مريضًا .

ـ لا تقولى هذا .. إن ظروف العمل فى هذه البلاد لا تسير على وتيرة واحدة . ولا بد أن عبء العمل المكلف به قد ازداد على نحو .....

قاطعتها (وفاء) قائلة :

ـ كلا .. إننى غير مقتنعة بذلك .. فلا بد أنه مريض أو يمر بظروف صعبة .

ـ ربما تأخر الخطاب أو أنه فى الطريق إليك .. فلا داعى لهذا التوتر الزائد .

ـ أتظنين هذا حقًا ؟

ـ بالطبع .. سترين أنه لا شىء أكثر من ذلك .

ـ لكن خطاباته لم تكن تتأخر على هكذا .

ـ إن التأخير فى وصول الخطابات وارد أحيانًا .

ـ أتمنى أن يكون ما تقولينه صحيحًا .

ـ اسمعى .. ما رأيك لو جئت لتسهرى معنا هذه الليلة ؟

إن (صلاح) زوجى طلب منى أن أدعوك إلى

العشاء معنا الليلة .. وبعدها سنذهب إلى أحد المسارح التى تعرض مسرحية كوميدية ستعجبك كثيرًا .

ـ أشكرك يا (صفاء) على هذه الدعوة الكريمة .. لكنى لا أستطيع أن أقبلها .

ـ لماذا ؟ إنها فرصة للتغلب على هذه الوحدة التى تعانينها من البقاء بمفردك فى المنزل .. والتخلص من حالة القلق والتوتر التى تمرين بها هذه الأيام .

ـ إننى أقدر بالطبع محاولتك أنت وزوجك التخفيف عنى .. لكن يتعين علىّ أن أبقى فى المنزل فى انتظار أن يتصل بى (محمود) هاتفيًا .

ـ وهل ستسجنين نفسك من أجل انتظار اتصاله الهاتفى ؟

ـ لا بد أن أطمئن عليه .

ـ لكنك قلت إنه توقف عن الاتصال بك هاتفيًا منذ فترة .. لانتقاله إلى مكان يصعب عليه من خلاله إجراء مثل هذه الاتصالات .

ـ من يدرى ؟ ربما أمكنه أن يجد وسيلة ما .

مسحت بيدها على شعر صديقتها قائلة :

- (وفاء) .. إننى أشفق عليك من تلك الحالة التى تبدين عليها .

وبرغم أنك لو سافرت فسوف تجعلينني بذلك أفتقد صديقة عزيزة وقريبة إلى قلبى .. إلا أننى أتمنى من الله أن تسافرى إلى زوجك فى أقرب وقت .. لكى تعود إليك سعادتك وتستردى ابتسامتك المشرقة التى فقدتها وافتقدتها معك .

* * *

مرت أربعة أيام أخرى دون أن تتلقى (وفاء) ردًا على رسالتها برغم أنها بادرت بإرسال خطاب آخر .

وأحست بأن القلق يكاد أن يقتلها .. فحاولت أن تشغل نفسها بترتيب بعض الأشياء المتعلقة بـ (محمود) والتى لم يأخذها معه فى سفره .

وما لبثت أن احتضنت قطعة من ثيابه وهى تبكى بشدة قائلة :

- (محمود) .. أين أنت ؟ لماذا لا تتصل أو تكتب لى ؟ هل أنت بخير أم أنك ..... ؟!

هزت رأسها بشدة قائلة وهى تحاول طرد الأفكار المزعجة من رأسها :

- كلا .. إنك لست مصابًا بسوء .. لا بد أن المانع خير .. وفجأة رن جرس الهاتف فى الردهة .

كان رنينه متواصلًا .. فتوقفت عن البكاء وهى تهتف قائلة :

- إنه اتصال خارجى ! لا بد أنه (محمود) !

واندفعت إلى الخارج وقد كادت أن تتعثر فى خطواتها وهى تمسك بسماعة الهاتف فى لهفة شديدة .

* * *



٦ - زوجتى الحبيبة ..

صاحت بصوت مرتعش فى سماعة الهاتف :

- آلو !

وما لبثت أن سمعت على الطرف الآخر صوتًا يأتيها قائلاً :

- من المتحدث ؟ (وفاء) .. إننى خالتك .. كيف حالك يا (وفاء) ؟ لماذا لم أعد أسمع صوتك .. إنك لا تحاولين السؤال عن خالتك حتى ولو باتصال هاتفى .

أحست (وفاء) بخيبة الأمل .. وقد وجدت أن المتحدث هو خالتها وليس (محمود) كما كانت تظن .

قالت لها بصوت واهن ينم عن خيبة الأمل :

- أهلاً خالتى .

تحدثت خالتها قائلة :

- إننى سأحضر إلى (القاهرة) خلال الأسبوع القادم مع الحاج (أمين) زوج خالتك .. لإجراء بعض التحاليل الطبية .. وسوف أمر عليك بالطبع .

استمرت خالتها فى الحديث بضع دقائق أخرى دون أن تفقه (وفاء) شيئًا مما تقوله .

فقد أطاح إحساسها بخيبة الأمل أية قدرة لديها على الحديث أو الإنصات .. لقد كانت تتمنى أن يكون هذا الاتصال من (محمود) .. وبدا لها رنين الهاتف كما لو كان بارقة الأمل التى ستنتشلها من مخاوفها ومن افتقادها الشديد له .. لكنه جاء فى النهاية مخيبًا للآمال .

تهالكت فوق أحد المقاعد فى الردهة قائلة لنفسها :

- إلى متى هذا الانتظار والترقب ؟ لماذا تتركنى نهبًا لهذا القلق والتوتر يا (محمود) ؟

هل هناك مكروه أصابك حقًا ؟ أم أن ظروف العمل هى التى تحول بينك وبين أن تتصل بى أو ترسل لى خطابًا .. يحتوى على سطرين فقط تطمئننى من خلالهما عليك ؟

وأية ظروف هذه تلك التى تحول بينك وبين الكتابة إلىّ أو الاتصال بى مهما كانت ؟

ألا تفتقدنى كما أفتقدك ؟ ألا تحس معاناتى هنا وحدى بدونك ؟

* * *

مرّت ثلاثة أيام أخرى .. دون أن تتلقى (وفاء) شيئًا .. وفى اليوم الرابع ارتدت ثيابها واستعدت للذهاب إلى عملها وقد قرّرت أن تحصل على إجازة تستريح خلالها فى المنزل بضعة أيام .

إنها بحاجة لهذه الإجازة بالفعل .. فهى لم تعد قادرة على إنجاز الأعمال المسندة إليها بالكفاءة التى كانت عليها من قبل .. خلال الآونة الأخيرة .. أصبحت تفتقد التركيز الكافى .. كما أصبحت أخطاؤها كثيرة .. مما جعلها عرضة للوم والتأنيب .

لذا فقد رأت أنه من الأفضل أن تحصل على إجازة تحاول خلالها أن تعيد لمّ شتات نفسها وتريح أعصابها قليلاً .

وما كادت أن تهبط إلى الطابق السفلى للمنزل .. حتى وجدت ساعى البريد قادمًا ومعه مجموعة من الرسائل .

اندفعت نحوه وقلبها يخفق بشدة قائلة :

ـ هل لديك خطابات لى هذه المرة ؟

ابتسم ساعى البريد قائلاً :

ـ نعم .. لدى خطاب لك هذه المرة يا سيدتى من (الكويت) .

تهلل وجهها بالفرحة وهى تهتف قائلة :

ـ حقًا ؟!

تناول الرجل خطابًا ليقدمه لها قائلاً وقد أسعده أن يرسم هذه الابتسامة المشرقة على وجهها :

ـ ها هو ذا خطاب زوجك .. أرجو أن يحمل لك أنباء طيبة .

هرعت (وفاء) عائدة إلى شقتها وهى تقفز درجات السلم ، ويداها تحتضنان الخطاب الذى انتظرته طويلاً .. كما لو كان قد تأخر عليها سنوات عديدة .

وما إن أغلقت باب الشقة خلفها حتى بادرت بفضه على الفور وهى تنتزع الرسالة الموجودة بداخله ، لتقرأها بلهفة وشغف .

« زوجتى الحبيبة (وفاء) :

أرسل إليك بخالص تحياتى .. وأشواقى الحارة من قلب يذوب لهفة عليك ، ومشاعر تهفو حنينًا إلى رؤيتك ..

داعيًا الله أن تصلك رسالتى وأنت فى أتم صحة وأحسن حال .. وبعد ...

زوجتى الحبيبة .. أعرف أنك غاضبة منى لتأخرى فى الرد على رسالتك الأخيرة .. وعدم اتصالى بك خلال الفترة الماضية .

لكن لا بد أنك ستعذريننى لو علمت بالظروف التى حالت بينى وبين ذلك .

فقد اضطررت إلى الانتقال إلى موقع فى الصحراء تابع للشركة التى أعمل لحسابها .. وهو موقع بعيد عن العمران تمامًا .. ولا توجد وسيلة اتصال حقيقية تربط بين هذا المكان وبين المدينة عدا طائرة صغيرة تحضر إلى الموقع مرة كل أسبوع لإحضار ما يلزمنا من مواد تموينية ومتطلبات العمل .. وتحمل معها فى أثناء عودتها خطابات العاملين .

ونظرًا لمشقة العمل الذى يستغرق كل وقتى هنا تقريبًا .. لم أتمكن من الكتابة إليك على النحو المعتاد خلال الأسبوعين الماضيين .. وبالطبع لم يكن يمكننى الاتصال بك هاتفيًا أيضًا .

وقد انتهزت أول فرصة أتيحت لى لكتابة هذا الخطاب وإرساله إليك فى الطائرة العائدة إلى المدينة ، لكى يتم إرساله إليك فى البريد من هناك .

إن الحياة هنا شاقة وقاسية على نحو لا تتصورينه .. ومما يزيد من قسوتها على نفسى هو ابتعادى عنك وحرمانى منك .

لكن العائد المادى هنا مجز للغاية .. ويساوى ثلاثة أضعاف الراتب الذى كنت أحصل عليه فى أثناء عملى فى المدينة .. وهذا ما شجعنى على قبول العمل هنا .

لكننى لم أتمكن من إحضارك هنا بالطبع خلال الفترة القادمة .

خاصة أن من ضمن شروط العمل فى هذا المكان عدم اصطحاب الزوجات .

كما أن رسائلى إليك لن تكون منتظمة على النحو الذى اعتدناه للأسباب التى أوضحتها .

لكن هذه الظروف ستتغير فيما بعد بالطبع .. وعما قريب سأعود مرة أخرى إلى مقر الشركة بالمدينة .. وربما حصلت على إجازة قصيرة فى الفترة ما بين انتهاء عملى هنا وعودتى إلى مقر الشركة .

وسوف أبذل كل جهدى للعمل على اصطحابك معى حينما أتأكد من استقرار الأمور بيننا .

حبيبتى .. أعرف أن الأمر شاق على كلينا .. فنحن لم نعتد منذ أن تعارفنا على أن نفترق عن بعضنا كل هذا الوقت .. لكن علينا أن نتحمل ونصبر كما اتفقنا من أجل حياة أكثر راحة وسعادة فى المستقبل .. وتأكدى أنه مهما تباعدت المسافة بيننا فسوف تظلين دائمًا قريبة إلى قلبى لأنك تسكنينه .

وأخيرًا أرجو أن تعتنى بنفسك جيدًا من أجلى .. وحتى نلتقى لك حبى وقبلاتى .

زوجك المحب لك دائمًا

محمود

ملحوظة :

لا تقلقى بشأن التأخر فى وصول الرسائل فقد أوضحت لك الأمر فيما يتعلق بذلك .. وبالنسبة للخطابات التى تريدين إرسالها لى فسوف تصل إلى مقر الشركة أولاً .. حيث يتم توصيلها إلى بوساطة الطائرة التى تتولى حمل خطاباتى إليك .

لذا أرجو أن تبادرى بالرد وأن تطمئنينى عليك وعلى أحوالك فى رسالتك القادمة » .

قبلت الرسالة بحنين شديد قائلة :

- يا حبيبى يا (محمود) .

وأخذت تعيد قراءتها مرة أخرى وهى تكاد تلتهم السطور .

لكن فرحتها باستلام خطابه بعد طول انتظار واشتياق ما لبثت أن تلاشت تدريجيًا ، بعد أن استعادت الكلمات التى سطرها .

إن ما ورد فى هذا الخطاب يعنى أنها لن تتمكن من الذهاب إليه فى الوقت الحاضر ، وأنها ستضطر إلى الانتظار وقتًا طويلاً قبل أن يحدث هذا .

خاصة وأنه لم يوضح شيئًا فى خطابه عن الفترة التى سيقضيها فى ذلك المكان الذى انتقل إليه .

وهى التى كانت تمنى نفسها بأن تلحق به قريبًا !

ومما سيزيد من صعوبة الأمر بالنسبة لها اضطرارها إلى الانتظار وقتًا طويلاً قبل أن تتلقى منه خطابات تخفف من افتقادها إليه ، ورغبتها فى الاطمئنان عليه .

لكن .. ليس أمامها سوى أن تصبر وتحتمل كما طلب منها لأنها لا تملك شيئًا آخر عدا ذلك .

المهم أنها اطمأنت عليه وعلمت أنه بخير .

أمسكت بالخطاب بين يديها وهى تقول لنفسها مشجعة :

ـ نعم يتعين على أن أحتمل فراقه وقتًا أطول وأن أكون أكثر تقديرًا وصلابة .

يجب أن أتغلب على تلك الهواجس التى تطاردنى دائمًا بسبب غيابه عنى .. ألا أبدى كل هذا القلق والاضطراب كطفلة صغيرة كلما تأخرت خطاباته فى الوصول إلىّ .

يجب أن أدرب نفسى على الصبر والانتظار حتى لا ينتهى بى الأمر إلى الجنون .

وما لبثت أن انكمشت فى مقعدها وهى تردد قائلة :

ـ أعنى يا ربى على الصبر والانتظار .. واحفظ لى زوجى وارعه .. فأنت تعلم أنه كل ما لى فى هذه الدنيا .. وأننى أحبه أكثر من أى شىء آخر فى الوجود .

* * *



٧ ـ الزوج الغائب ..

مرت تسعة أشهر منذ رحيله حاولت خلالها (وفاء) أن تتأقلم مع غيابه عنها .. وأن تتقبل كل الأسباب والمبررات التى تبرر هذا الفراق .. لكنها لم تنجح فى ذلك .

لكن كان عليها أن ترضى به وأن تستعين بالصبر والأمل حتى يعود إليها زوجها أو تذهب هى إليه .

كما كان يتعين عليها أن تتظاهر بالصلابة والجلد أمام الآخرين برغم معاناتها .

لكن كل مشاعر الخوف والانزعاج تفجرت فى نفسها فجأة عندما سمعت بذلك الخبر المشئوم عن اجتياح القوات العراقية لأراضى (الكويت) .. وما أعقب ذلك من تداعيات فيما سمى بحرب الخليج .

فقد أصبح الأمر غامضًا بالنسبة للجميع فى (الكويت) خلال هذه الحرب .. ولم تعد هناك وسائل اتصال حقيقية يمكن أن تطمئن كل هؤلاء الذين لديهم أبناء أو أقارب هناك .

فقد سادت حالـة مـن الفوضـى وعـدم الوضـوح بالنسبة للعديدين من العاملين فى (الكويت) مـن أبناء الجنسيات المختلفة .. ومن بينهم المصريـون .. وأصبح على كل من يريد مغادرة البلاد هربًا من جحيم الحرب ؛ أن يبحث لنفسه عن وسيلة للفرار ويلقى وراء ظهره بكل أحلامه وطموحاته .

وهكذا فإنه لم يعد بإمكان (وفاء) أن تتلقى حتى تلك الخطابات القليلة التى كانت تتلقاها من زوجها على فترات متباعدة .

بل لم يعد بإمكانها أن تعرف مكانـه أو مصيره فى ظل تلك الفوضى التى أعقبت اجتياح القوات العراقية للأراضى الكويتية .. وجحيم الحرب الذى اشتعل هناك .. ومـا أسفر عنـه مـن ضحايا مـن القتلى والمصابين والمفقودين .

الآلاف كانوا يهربون عبر الحدود .. وبعضهم كان يهلك قبل أن ينجح فى الهرب .

وحضرت (صفاء) إلى منزلها لتسألها قائلة :

ـ (وفاء) .. لماذا لم تحضرى إلى العمل بالأمس ؟

قالت (وفاء) بصوت واهن وهى تحدق فى الجدار :

ـ لقد كنت فى إجازة .

ـ أعلم أنك كنت فى إجازة .. لكن إجازتك انتهت منذ يومين وكان يتعين عليك أن تحضرى إلى العمل بالأمس .

ـ لا أظـن أننى أستطيع الاستمرار فى العمل فى الوقت الحالى .

ـ (وفاء) .. ماذا تقولين ؟

ـ كيف يمكننى أن أذهب إلى العمـل .. أو أؤدى أىّ أعمال تطلب منى وأنا لا أعرف مصير زوجى ؟

ـ ألم ترد أىّ أخبار عنه بعد ؟

ـ نعم .. إن الأمور غامضـة تمامًا .. ولا يستطيع أحد أن يعرف شيئًا أو يدلنى على مصيره .

ـ لكنهم يعلنون أسماء العديدين من العائدين من (الكويت) يوميًّا .. وهناك آلاف يصلون كل يوم إلى (السويس) عن طريـق (الأردن) .. وبـإذن اللـه سيكون زوجك واحدًا منهم .

قالت وفى عينيها نظرة حزينة شاردة :

ـ هذا إذا كان لا يزال حيًّا .

ـ لا داعى لهذا التشاؤم .. فحسب ما عرفته منك ..

فإن المنطقة التى اجتاحتها قوات الغزو العراقية كانت بعيدة عن المنطقة التى يعمل بها زوجك .

- لقد وضعت القوات العراقية أيديها على (الكويت) بأسرها .. ولم تعد توجد منطقة غير خاضعة لسيطرتهم .

- لكنهم يسمحون للعاملين فى الأراضى الكويتية بمغادرتها .

- إنهم يسمحون لهم بالفرار عبر الصحراء فى ظروف قاسية للغاية .. والعديدون منهم يهلكون قبل أن ينجحوا فى عبور الحدود الكويتية .

- لكن العديد منهم أيضًا غادروها بسلام والآف من المصريين تمكنوا من العودة بسلام .. ومازالوا يعودون كل يوم .

قالت (وفاء) وفى عينيها بصيص من الأمل :

- أتظنين أن (محمود) سيكون واحدًا منهم ؟

- بإذن الله سيكون واحدًا منهم .. لكن بقاءك هنا فى المنزل بمفردك وأنت فى هذه الحالة من القلق والاضطراب لن يجدى شيئًا .. بل سيؤدى إلى تدهور حالتك النفسية .

ومن الأفضل أن تشغلى نفسك بالعمل حتى لا تستسلمى لهذه الأفكار .

- قلت لك لا أستطيع أن أذهب إلى العمل .. ولا أستطيع أن أفكر فى أى شىء آخر عدا مصير زوجى .

- وبماذا سيفيد بقاؤك فى المنزل هنا ؟

- إننى لن أبقى فى المنزل .

- إذن .. إلى أين ستذهبين ؟

- إلى (السويس) !

نظرت إليها (صفاء) بدهشة قائلة :

- (السويس) ؟ ماذا ستفعلين هناك ؟

- سأذهب للبحث عن (محمود) .

- وهل ستقضين ليلك ونهارك واقفة فى الميناء تتطلعين إلى وجوه العائدين بحثًا عنه ؟

قالت (وفاء) بإصرار :

- إذا اقتضى الأمر ذلك سأفعل .

- لابد أنك مجنونة !

- إننى سأجن حقًا لو لم أعثر على زوجى .

- لكنهم يعلنون أسماء العائدين .. وتظهر صورهم

فى الجرائد والتليفزيون يوميًا .. فلا داعى لذهابك إلى هناك وتحميل نفسك فوق طاقتها .

- لا بد أن أبحث عنه بنفسى فقد يغفلون عن اسمه أو ربما يكون قد أصابه مكروه .

- وأين تقيمين هناك ؟

- فى أى فندق قريب من الميناء .

- مازلت أرى أنه من الأفضل أن تبقى لترقب أخباره هنا .

- إن الترقب يكاد أن يقتلنى .

- وماذا ستفعلين هناك غير الانتظار والترقب ؟

- على الأقل سأكون قريبة من هؤلاء العائدين وربما استطعت الحصول على أية معلومات منهم .. أو معرفة أىّ أخبار بشأنه .

وضعت (صفاء) يدها ، على كتف صديقتها قائلة :

- (وفاء) .. إننى أشفق عليك من هذه الرحلة وما سوف تعرضين نفسك له من المتاعب .

- إذا كنت تشفقين على من السفر إلى (السويس) وما يمكن أن ألقاه من متاعب فى سبيل ترقب عودة زوجى .. فلماذا لا تقدرين لهفتى وجزعى من أجل زوجى ؟ وقد تعرّض لهذه الظروف القاسية ..

ولا أدرى أىّ متاعب وأىّ أهوال واجهها وسط نيران الحرب المشتعلة هناك .

وتنهّدت وهى تستطرد قائلة بحزن :

- هذا بفرض أنه مازال حيًّا .

- يجب أن تعدى نفسك لمواجهة كل الاحتمالات .

صاحت (وفاء) فى وجهها قائلة :

- كلا ! لا تقولى هذا .. إن (محمود) حىّ وسيعود إلىّ .. أنت نفسك قلت لى هذا منذ قليل .

- لقد قلت لك ألا تتشاءمى .. لكن عليك أيضًا ألا تفرطى فى التفاؤل وإلا تعرضت لصدمة شديدة لو .....

قاطعتها (وفاء) قائلة :

- كلا .. إن (محمود) حىّ .. وسوف يعود إلىّ .. لا بد أن يعود إلىّ .

★ ★ ★



٨ - أيـن أنـت ..

سأل أحد العاملين فى الشركة التى تعمل بها (وفاء) زميلتها (صفاء) :

- ألم تصلك أى أخبار عن صديقتك بعد ؟

قالت (صفاء) بحزن .

- نعم .. منذ أن سافرت إلى (السويس) لم أعرف عنها شيئًا .. ولم تحاول حتى أن تتصل بى .

تحدثت إحدى الزميلات فى الحجرة قائلة :

- مسكينة ! إنهـا ستُجن لغيـاب زوجهـا وعـدم معرفتها لأى أخبار بشأنه .

تحدثت زميلة أخرى قائلة :

- معها حق .. إننى لو مكانها لأصبحت مثلها هكذا .

قال زميلهم فى الحجرة :

- كلا .. إننى لم أر امرأة شديدة الحب والإخـلاص لزوجها كـ (وفاء) .

قالت إحداهن محتجة :

- ماذا تعنى بذلك يا أستاذ (صبرى) ؟

قال لها :

- إننى لا أقصد شيئًا سوى أنها مفرطة فى حبها وإخلاصها لزوجها .

قالت الزميلة الثانية :

- أظن أن هذا هو ما يتعين على كل زوجـة أن تكونه .

قالت (صفاء) :

- الأمر بالنسبة لـ (وفاء) مختلف .. فقد كنت زميلة لـ (وفاء) فى الكلية وأعرف الكثير عن قصة الحب التى جمعت بينها وبين زوجها قبل الزواج .

فالارتباط الذى يجمع بين (وفاء) وزوجها أكبر وأعمق من مجرد ارتباط عادى .

إنه شىء أشبه بقصص الحب الرومانسية التـى تقرءونها أو ترونها على الشاشة .

قالت إحداهن :

- المسكينة ! لا بد أنها لم تتمكن من العثور عليه بعد ، وإلا لعادت من (السويس) وأخبرتنا بعودتها .

قالت الأخرى :

ـ لقد تابعت أسماء العائدين خلال الأيام الماضية ولم يرد اسم زوجها من بينهم .

ـ وأنا حاولت أن أتصل بها فى أحد الفنادق المعروفة فى (السويس) أملاً فى معرفة أخبارها لكنى لم أتمكن من ذلك .. وأظن أنه يتعين على أن أسافر للبحث عنها بنفسى .

قالت إحداهن :

ـ تسافرين ؟ وكيف سيمكنك أن تستدلى عليها وأنت لا تعرفين لها مكانًا ولا عنوانًا كما تقولين ؟ هل ستجوبين (السويس) بحثًا عنها ؟

ـ كلا .. سأذهب إلى الميناء .. وأظن أننى سأجدها هناك .. فهذا هو المكان الذى ستذهب إليه بحثًا عن زوجها .

قال زميلها :

ـ سيكون كرمًا منك أن تفعلى هذا .. فكلنا نريد الاطمئنان عليها بما فى ذلك الأستاذ (عبد الفتاح) مدير الشركة .

ـ إن (وفاء) أقرب صديقة لى .. وأنا شديدة القلق عليها .

★ ★ ★

تطلع الرجل إلى (وفاء) بوجه مكفهر قائلاً :

ـ أنت مرة أخرى ؟!

قالت (وفاء) بصوت محتج :

ـ أريد أن أطمئن على زوجى .

قال لها الرجل بخشونة :

ـ لقد أخبرتك أكثر من مرة بالأمس أننى لا أعرف شيئًا عن زوجك هذا .

قالت له بإلحاح :

ـ لكنى فقط أريد الاطلاع على أسماء المسافرين على العبارة القادمة من ميناء العقبة .

صاح الرجل قائلاً :

ـ وما حاجتك للاطلاع على القائمة الخاصة بالأسماء ؟ لقد أخبرتنى باسم زوجك وراجعت القائمة فلم أجده من بينها .. ولو أن كل شخص يريد الاطمئنان على ذويه جاء ليجادلنى مثلك هكذا كل هذا الوقت فسوف أقضى يومى هنا .

وكان أحد الأشخاص العاملين فى الميناء قد استمع إلى الحوار الدائر بينها وبين الرجل مصادفة فتدخل فى الحديث قائلاً :

- يا أخى .. أعذرها .. إنها قلقة على زوجها وتريد الاطمئنان عليه .

التفت إليه الرجل قائلاً وهو يشير إلى عدد من الأشخاص :

- أعلم ذلك .. ولكن انظر إلى كل هؤلاء .. إنهم جاءوا إلى هنا أيضًا من أجل الاطمئنان على ذويهم واستقبالهم حين حضورهم .. وعملى مرتبط بكل هؤلاء وليس بالسيدة وحدها .

وانصرف الرجل متجهًا إلى رصيف الميناء فى حين تحدث إليها الشخص الذى تدخل فى الحديث قائلاً :

- آسف يا سيدتى .. لكن لا بد أنك تقدرين ازدحام العمل فى الميناء هذه الأيام خاصة بالنسبة لاستقبال العائدين من الخليج .

نظرت إليه فى رجاء قائلة :

- هل قائمة الأسماء الموجودة فى الميناء تحوى أسماء كل القادمين على العبارة ؟

أجابها قائلاً :

- كلا .. فهناك آخرون يحضرون فى آخر لحظة للانضمام لبقية المسافرين .

وبالطبع لا يستطيع العاملون فى ميناء العقبة مراسلتنا بشأنهم قبل تحرك العبارة .. فلا يمكن التعرف عليهم إلا بعد وصولهم إلى (السويس) .

تهلل وجهها قائلاً :

- هذا يعنى أن زوجى يمكن أن يكون من بين هؤلاء الذين لم ترد أسماؤهم هنا .

أجابها قائلاً :

- هذا احتمال قائم بالطبع .

صافحته بحرارة وهى تشكره قائلة :

- أشكرك .. أشكرك جدًا .

نظر إليها الرجل بإشفاق قائلاً :

- أرجو أن يكون زوجك من بين العائدين يا سيدتى .

ظلت تتطلع إلى الوجوه التى تغادر العبارة فى طريقها إلى رصيف الميناء وهى تترقب بلهفة رؤية وجه زوجها من بينهم .

لكن الوقت أخذ يمر تدريجيًا وبدأ العائدون يغادرون الميناء دون أن تعثر على أثر للزوج الغائب .

أخذت تهتف منادية إياه .. ربما لا تكون قد تمكنت من رؤيته وسط هذا التكدس والزحام الشديد عله يسمع صوتها قائلة :

ـ (محمود) .. (محمود) !
لكنها لم تجد إجابة .
وما لبث أن تقدم إليها أحد الأشخاص قائلاً :
ـ هل تنادينني يا سيدتي ؟
قالت له وهي تكاد تبكي :
ـ إنني أنادي (محمود) زوجي .
قال لها مشفقًا :
ـ آسف يا سيدتي .. فأنا أيضًا أدعى (محمود) وقد ظننت أنك تنادينني ..
وهم بالانصراف لكنه عاد ليقول لها مستدركًا :
ـ هل كان زوجك يتميز بطول القامة .. وجسد رشيق وبشرة سمراء وشارب رفيع ؟
قالت له بلهفة وقد وجدت فيما ذكره أوصاف زوجها :
ـ نعم ! هل قابلته ؟
أجابها قائلاً وهو منكس الرأس :
ـ آسف يا سيدتي .. لقد توفي زوجك .
تراجعت إلى الوراء وهي تحدق فيه غير مصدقة .. قائلة :

ـ كلا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا .. هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا .
قال لها بأسف :
ـ لقد كان مريضًا بالقلب ولم يحتمل مشقة السفر عبر الصحراء .
قالت له بهلع :
ـ لكن زوجي لم يكن مريضًا بالقلب .. ولا بأي مرض آخر .
هم بالانصراف .. لكنه عاد للتوقف مرة أخرى قائلاً :
ـ انتظري .. هل كان زوجك أصلع الرأس ؟
أجابته قائلة :
ـ كلا .. إن لزوجي شعرًا أسود فاحمًا وكثيفًا .
عاد ليقول لها معتذرًا :
ـ آسف مرة أخرى يا سيدتي .. إذن فلم يكن الشخص الذي رأيته هو زوجك .. لقد اختلط الأمر بالنسبة لي .
وانصرف مبتعدًا في حين انخرطت هي في بكاء عنيف .

وما لبثت أن وجدت يدًا تربت على ظهرها وهى تقول لها :

- تمالكى نفسك يا (وفاء) .

التفتت لترى صديقتها أمامها .. فهتفت قائلة :

- (صفاء) ؟

احتضنتها صديقتها قائلة :

- أظن أنه يتعين عليك أن تعودى معى إلى (القاهرة) الآن .

قالت (وفاء) وهى تنتحب :

- لا أستطيع .. لا بد أن أعرف مصير (محمود) أولاً .

- إن بقاءك هنا لن يجدى .. فقد علمت أن العبّارة التى تستقبل العائدين عن طريق ميناء (العقبة) ستتوقف عن العمل ابتداء من الغد .. لأن معظم الذين غادروا (الكويت) من المصريين العائدين قد تمكنوا من مغادرتها بالفعل .. ولن يستقبل الميناء أفواجًا جديدة من القادمين من (العراق) و (الكويت) عن طريق (الأردن) .

حدقت (وفاء) فيها قائلة :

- لكن لا يمكن أن يكون هؤلاء هم كل المصريين الموجودين فى (الكويت) .

- كلا بالطبع .. ولكن هناك نسبة بسيطة من المصريين الذين فضلوا البقاء برغم ظروف الحرب .. أو سلكوا سبلاً أخرى للهرب أو مغادرة البلاد .

- وهذا يعنى أن هناك أملاً أن يكون زوجى من بينهم .

- الأمل موجود دائمًا يا حبيبتى .

- إذن يتعين علىّ الانتظار .

- لن يكون هناك طائل من وراء الانتظار هنا .. فأفواج العائدين قد توقفت اعتبارًا من اليوم .. وستكون عودة البعض بعد ذلك مجرد حالات فردية .. ومن يدرى ؟ ربما يأتى زوجك عن طريق أى ميناء آخر بحرى أو جوى .. وليس شرطًا أن يكون (السويس) .

قالت لها (وفاء) وهى تحاول أن تبحث عمن يساندها فى تعلقها بالأمل :

- لكنك تظنين مثلى أنه لازال حيًا .. أليس كذلك ؟

قالت (صفاء) وهى تبتسم لها فى عطف :

- بلى .. وستجدينه بمشيئة الله .

لكن يتعين عليك الآن أن تعودى معى إلى منزلك ، وأن تهتمى قليلاً بصحتك حتى إذا ما عاد يجدك فى أبهى صورة لك .

فكرت (وفاء) قليلاً قبل أن تقول :

- لقد قلت إن هناك احتمالاً بأن يكون ما زال موجودًا فى (الكويت) .. فما رأيك لو ذهبت إلى هناك لأبحث عنه .. أو على الأقل للتعرف على أخباره ؟

إننى أعرف اسم الشركة والجهة التى كان يعمل بها فى المدينة .

نظرت إليها صديقتها باستغراب قائلة :

- تذهبين إلى أين ؟ ألا تدرين ما يجرى فى العالم حولك ؟ إن الحرب مشتعلة فى (الكويت) .. وكل الطرق والمطارات مغلقة .. والحياة المدنية هناك تعتبر شبه منعدمة .. فكيف تفكرين فى الذهاب إلى هناك ؟

هيا .. تعالى نذهب إلى الفندق الذى تقيمين فيه لتجمعى حاجياتك ونعود معًا إلى (القاهرة) .. وإلى عملك هناك .

★ ★ ★

٩ - سأبحث عنك ..

سألتها (صفاء) :

- هل تقدمت بإجازة أخرى ؟

قالت (وفاء) :

- نعم .. هذه المرة إجازة طويلة لمدة سنة بدون مرتب .

- المدير لن يقبلها .

- إذن سأستقيل من العمل !

- إلى هذا الحد ؟

- لم يعد هناك اختيار آخر .. لقد انتهت الحرب .. ولم يعد (محمود) .. وأنا لن أتوقف عن البحث عنه .

- ماذا ستفعلين ؟

- سأذهب إلى (الكويت) وأتحرى عنه هناك .

- لكن هذه رحلة شاقة بالنسبة لك .. خاصة وأن الأوضاع هناك لم تستقر بعد .

- لقد انتظرت حتى انتهت الحرب .. ولن يحول

شىء بينى وبين الذهاب إلى هناك الآن والبحث عن زوجى .

- (وفاء) .. لا أريد أن تغضبى منى .. ولكن من يدرى ؟ ربما كان (محمود) ......

- مات .. أليس كذلك ؟ إذن سأبحث عن جثته وأعود بها إلى (مصر) .. حتى لو كان قد مات فسوف أكون بذلك قد انتهيت إلى معرفة مصيره .

كان لا بد أن أعلم بذلك من أى شخص أو جهة ما .. لكن لا يوجد أى شىء يقودنى إلى معرفة مصيره .. لا شىء عدا أنه مفقود .. هذا هو كل ما أعرفه حتى الآن .

- إذا كانت الجهات الرسمية والجهة التى كان يعمل بها تؤكد لك ذلك ، فماذا يمكنك أن تفعليه أنت ؟

- إن إحساسى يؤكد لى أنه ما زال حيًا .. وأننى سأتمكن من العثور عليه .. وإحساسى لا يخيب أبدًا .

- نعم .. ولكن كيف سيمكنك أن تعثرى عليه ؟

- لا أدرى .. ولكن سأبحث عنه بكل ما أمتلكه من وسائل .

- لكن ذلك سيحتاج منك لمصاريف عديدة .

- أعلم ذلك .. وقد بعت مصوغاتى الذهبية من أجل مصاريف السفر والإقامة .

- بعت مصوغاتك ؟ لكن كيف تفعلين ذلك ؟ إنها رصيدك الذى تحتفظين به لمواجهة نكبات الزمن . وصعوبات المستقبل .

- وهل هناك ما هو أصعب وأقسى مما أمرّ به الآن ؟

- ولماذا لم تطلبى منى ما تحتاجينه ؟

- أشكرك يا (صفاء) .. لكننى أعلم بظروفك .. والمبلغ الذى أحتاج إليه أكبر من إمكانياتك المادية .

- أرجو أن توفقى فى العثور على زوجك .

★ ★ ★

استقبل (ناظم الحويران) أحد أصحاب شركة التعمير الخليجية (وفاء) فى مكتبه مرحبًا حيث سألته قائلة :

- لا بد أنك تعرف زوجى .

أجابها قائلاً :

- فى الحقيقة لم أتعرفه معرفة شخصية يا سيدتى .. لكن (عبد الله الناصر) مدير عام الشركة .. و(جابر الفهيد) المسئول عن العاملين بها كانا

يعرفانه بلا شك .. وهما اللذان أطلعانى على ما حدث لزوجك فى أثناء الحرب .

وبادرت بإرساله لك فى تقرير مفصل من الشركة .

فعندما اقتحمت القوات العراقية الموقع التابع للشركة .. والذى كان يعمل به زوجك .. كانت قوافل السيارات التى تستعد لنقل العاملين إلى الحدود السعودية قد تأهبت للتحرك .

لكن القوات العراقية قطعت عليهم الطريق وحاصرتهم من كل جانب .. بعضهم وقع فى الأسر .. وتم ترحيله إلى (العراق) والبعض الآخر حاول الهرب . فأطلقت عليه القوات العراقية النيران .. حيث دمّرت كل السيارات التى حاول أصحابها الفرار .

ولم ينجح فى الهرب سوى سيارتين فقط .. لم يكن زوجك من بين راكبيهما .

– هل يمكننى أن ألتقى بهذين الشخصين اللذين تحدثت عنهما ؟

صمت الرجل برهة وهو يفكر .. ثم ما لبث أن قال :

– إن (عبد الله الناصر) موجود هنا .. أما (جابر) فقد سافر إلى الخارج .. ويمكننى أن أجعلك تلتقين (عبد الله) .

– سأكون ممتنة لك لو فعلت ذلك .

* * *

نظر إليها (عبد الله) وعلى وجهه علامات الأسف قائلاً :

– يؤسفنى أن أخبرك بأننى لا أستطيع أن أفيدك بشىء عن مصير زوجك يا سيدتى .

– لكنك كنت تعرفه .. أليس كذلك ؟

أجابها قائلاً :

– بلى .. وقد كان دائمًا موضع تقدير كبير بالنسبة لى ولكل الذين عملوا معه .. فقد كان مخلصًا ونشيطًا فى عمله على نحو يثير الإعجاب .

– ولكن ألا تستطيع أن تدلنى على الأقل على المكان الذى ذهب إليه فى أثناء هجوم القوات العراقية على المنطقة التى يوجد بها الموقع .. أو تشرح لى الأحداث التى سبقت اختفاءه ؟

أجابها قائلاً :

– فى الحقيقة لن أستطيع أن أفيدك كثيرًا فى هذا الشأن أيضًا .. فأنا لم أكن فى المنطقة التى جرت فيها هذه الأحداث وقتها .

لقد جئت إلى موقع العمل فى زيارة عاجلة قبل الغزو بيومين .. وفى أثناء وقوع تلك الأحداث كنت فى (الكويت) العاصمة .

خفضت (وفاء) رأسها بيأس وهى تردد قائلة :

- لا بد أن هناك من يستطيع أن يوضح لى الملابسات التى اختفى فيها زوجى .

ثم صاحت قائلة بانفعال :

- لا بد أن هناك من يستطيع مساعدتى .

قال لها الرجل محاولاً تهدئتها :

- أرجوك يا سيدتى .. تمالكى أعصابك .

قالت له دون أن تتخلى عن انفعالها :

- أرجوك أنت .. قل لى لمن ألجأ ؟ وبمن أستعين لكى أعرف مصير زوجى ؟

فكّر الرجل قليلاً ثم قال لها :

- أظن أن هناك من يمكنه أن يدلنا على ما حدث لزوجك فى أثناء اقتحام القوات العراقية للمكان .

نظرت إليه وقد تعلقت بهذا الأمل قائلة :

- حقًا ؟ من هو ؟

أجابها قائلاً :

- رئيس العمال الذى كان موجودًا وقتها .. والذى تمكن من الهرب فى أثناء اقتحام القوات العراقية للمكان مع مجموعة من العاملين هناك .

- أرجوك دعني أقابله فى الحال .

نظر إليها قائلاً :

- لم يعد الأمر بيدى .. فالشركة توقفت عن العمل بعد الغزو العراقى وتتم تصفيتها الآن .. فلم يعد لدينا عمال ولا رئيس عمال .. لم يعد هناك سوى بضعة موظفين قلائل حتى ننتهى من تصفية الشركة .

- لكن لا بد أنك تعرف عنوانه على الأقل .

أجابها قائلاً :

- فى الحقيقة أنا لا أعرفه .. لكن أعتقد أن أحد موظفى الشركة يعرفه ويمكنه أن يدلك عليه .

★ ★ ★

تقدمت (وفاء) بخطوات متمهلة إلى إحدى طرقات المستشفى حيث أخذت تتطلع إلى أرقام الحجرات وقد بدا عليها الإجهاد الشديد .. حتى إنها أحست بالضباب

يغطى عينيها ، وهى تتطلع إلى الأرقام الموجودة فوق حجرات المستشفى .

كانت مرهقة للغاية .. فمنذ أن جاءت إلى (الكويت) لم تحظ بقدر كاف من الراحة .

وكان الجو شديد القيظ بالخارج مما أرهقها بشدة .

وفجأة أحست بأن قدميها لا تقويان على حملها .. فكادت تهوى إلى الأرض .. لولا أنها بادرت بالجلوس على أحد المقاعد القريبة .

ولمحتها إحدى ممرضات المستشفى .. فسارعت بالذهاب إليها قائلة :

ـ هل تشعرين بشىء يا سيدتى ؟

أجابتها (وفاء) بصوت واهن قائلة :

ـ كلا .. إنه دوار بسيط .

سألتها الممرضة :

ـ هل أستدعى لك الطبيب المناوب :

ـ إن الأمر لا يستحق .

ونهضت من فوق مقعدها قائلة :

ـ إننى أستطيع الآن أن أقف على قدمى .. ولم أعد أشعر بدوار .

سألتها الممرضة قائلة :

ـ هل تريدين مقابلة أحد فى المستشفى ؟

ـ إننى أبحث عن الغرفة رقم (٣٨) .

قالت لها الممرضة :

ـ لكنها ليست فى هذا الطابق .. إنها فى الطابق العلوى .

ـ من فضلك هل يمكنك أن ترشدينى إليها ؟

ـ بكل سرور يا سيدتى .

واصطحبتها الممرضة إلى المصعد الذى توقف بهما فى الطابق التالى حيث قادتها إلى الغرفة .. لتشير إليها قائلة :

ـ ها هى ذى الحجرة التى تبحثين عنها .

شكرتها (وفاء) .. ثم طرقت الباب حيث سمعت صوتًا يدعوها للدخول .

وجدت فى الداخل رجلاً ممددًا فى الفراش وقد بدا من ملامحه أنه مريض للغاية .. وقد جلست بجواره سيدة وفتاة شابة .. حيث تطلعا إليها بفضول .

تقدمت إلى سرير الرجل قائلة :

ـ الشيخ (جاسم) ؟

نظر إليها وهو يفتح عينيه بصعوبة قائلاً بإعياء :

ـ نعم .. إنه أنا .

قالت له (وفاء) وقد أحست بالحرج :

ـ أرجو لك شفاء عاجلاً .. لقد سألت عنك وعلمت أنك بالمستشفى .

قال لها بصوت واهن :

ـ أشكرك يا بنيتى .. لكن من أنت ؟

ـ إننى زوجة أحد الموظفين الذين كانوا يعملون معك بالشركة ويدعى (محمود سالم) .

أخذ يفكر قائلاً :

ـ (محمود سالم) .. (محمود سالم) .. إننى أتذكر هذا الاسم .

ـ لقد أخبرنى مدير الشركة أنك كنت برفقته فى ذلك الموقع الذى هاجمته القوات العراقية .

قال لها وقد بدا عليه الإجهاد :

ـ نعم .. (محمود) المصرى .. إننى أذكره رحمه الله !

صاحت (وفاء) قائلة :

ـ هل مات ؟!

قال لها وهو يسعل :

ـ لا بد أنه دفن فى الصحراء كما حدث للعديدين .

اندفعت (وفاء) لتجثو على ركبتيها بجوار فراشه قائلة :

ـ لكنك لست متأكدًا من أنه قد مات .. أليس كذلك ؟!

★ ★ ★



١٠ - هروب فى الصحراء ..

صمت الرجل برهة قبل أن يقول :

- بلى .. لكن أحدهم قال لى ذلك .

- هل تذكر أين كان زوجى على وجه التحديد في أثناء وقوع تلك الأحداث ؟ وإلى أين ذهب ؟

أغمض الرجل عينيه وقد تجمعت على وجهه حبات العرق قائلاً بإعياء :

- كلا .. لقد كان كل منا مهتمًا بنفسه وقتها .. ويحاول أن ينجو بنفسه من هذا الجحيم الذى اشتعل فى الصحراء .

أمسكت (وفاء) بيديه متوسلة وهى تقول :

- أرجوك .. حاول أن تتذكر .

لكن زوجة الرجل قالت لها محتجة :

- من فضلك يا سيدتى .. ألا ترين أن زوجى مريض ؟

نظرت إليها (وفاء) قائلة :

- أنا آسفة .. أعرف أن الظروف غير مناسبة .. لكنى أحاول التعرف على مصير زوجى .

قالت لها زوجة الرجل :

- إننى أقدر قلقك على زوجك .. لكن من حقى أنا أيضًا أن أقلق على زوجى .. إنه مريض بالقلب .. والأطباء لم يصرحوا لى بزيارته إلا بصعوبة .. وطلبوا منى أن ألتزم الصمت فى وجودى معه .

وها أنتذى ترهقينه بأسئلتك هذه .. وتسببين له المزيد من التعب .

- إننى أحاول فقط .....

قاطعتها ابنة الرجل قائلة :

- من فضلك .. لقد سمعت ما قالته أمى .. إننى لن أسمح لك بإجهاد أبى أكثر من ذلك .

عادت ملامح اليأس ترتسم على وجهها وهى تنهض واقفة .. ثم تقدمت نحو الباب بخطوات ثقيلة .

وألقت نظرة ثانية على الرجل .. ثم فتحت الباب وهى تتأهب لمغادرة الغرفة .

لكنها سمعت صوته وهو يناديها قائلاً بإعياء :

- انتظرى يا بنيتى .. أظن أن هناك شخصًا يستطيع أن يفيدك أكثر منى فى بحثك عن زوجك .

اندفعت نحوه بلهفة قائلة :

ـ من هو ؟

قالت له زوجته معترضة :

ـ لا تجهد نفسك أكثر مما يجب .

قال لها دون أن يعبأ بما قالته زوجته :

ـ لقد كان زوجك فى إحدى تلك السيارات التى كانت تستعد لنقل العاملين بالشركة إلى موقع بعيد عن الهجوم العراقى .

ولم يفلح فى الهرب سوى سيارتين فقط من سيارات الشركة كنت أنا من بين راكبيهما

بينما دمرت بقية السيارات الأخرى أو تم الاستيلاء عليها وأسر من فيها .. أو إطلاق الرصاص على من أصر على مواصلة الهرب .

وأصبح راكبو هذه السيارات ما بين مفقود أو أسير أو قتيل .

ولم نسمع أن أحدًا نجا من بين هؤلاء الضحايا عدا شخصًا واحدًا كان يرافق زوجك ، فى تلك السيارة التى كانت تستعد لمغادرة المكان قبل الهجوم العراقى .

حيث استطاع التسلل إلى الحدود (السعودية) ..

وسط ظروف قاسية للغاية وهو ما بين الحياة والموت .

سألته (وفاء) بلهفة قائلة :

ـ وهل عاد إلى (الكويت) ؟

أجابها قائلاً :

ـ لقد علمت أنه عاد إلى (الكويت) منذ ثلاثة أيام فقط .

ـ هل يمكنك أن تدلنى على عنوانه ؟

صاحت ابنته فى وجهها قائلة :

ـ كفى ! هذا يكفى .

قالت (وفاء) متوسلة :

ـ أرجوك .. أريد أن يدلنى على العنوان فقط .

قالت ابنته محتدة :

ـ ألا ترين ؟ إنه مريض للغاية .

قال لها الرجل وهو يحاول التغلب على ضعفه :

ـ اسمه (هاشم صفوان) .. وعنوانه مسجل فى الشركة .

أمسكت بيده وهى تشكره بحرارة قائلة :

ـ أشكرك .. أشكرك جدًا .. وأدعو لك الله بالشفاء .

ثم أسرعت بمغادرة الحجرة والمستشفى .

★ ★ ★

وقفت (وفاء) تنادى الرجل وقد رأت بوابة المنزل الخارجية مغلقة .. فأطل عليها وجه شاب من وراء البوابة بعد أن فتحها قائلاً :

ـ أية خدمة يا سيدتى ؟

سألته :

ـ هل أنت (هاشم صفوان) ؟

أجابها قائلاً :

ـ كلا .. إننى ابنه .

سألته قائلة :

ـ هل والدك موجود ؟

أجابها قائلاً :

ـ نعم .

ـ من فضلك .. أريد مقابلته .

قال لها الشاب :

ـ تفضلى .

صاحبها الشاب إلى حجرة مؤثثة على الطراز العربى وهو يدعوها إلى الجلوس قائلاً :

ـ تفضلى .. سأنادى والدى .

لكنها ظلت واقفة وقد منعها التوتر من الجلوس .

وبعد لحظات دخل رجل فى الخمسين من عمره .. حيث صافحها وفى عينيه نظرة تساؤل قائلاً :

ـ أهلاً بك يا سيدتى .

سألته :

ـ هل أنت السيد (هاشم) ؟

أجابها قائلاً :

ـ نعم .

ـ إننى زوجة أحد المصريين ممن كانوا يعملون معك فى الشركة ويدعى (محمود سالم) .

صاح الرجل :

ـ أنت زوجة الأستاذ (محمود) ! مرحبًا بك .. تفضلى بالجلوس .

ـ لقد انقطعت أخبار زوجى منذ الغزو العراقى .. وقيل لى أنه مفقود ولا يعلم أحد مصيره .. لكنى لم أفقد الأمل فى العثور عليه .. فهل يمكنك مساعدتى فى ذلك ؟

تنهد الرجل قائلاً بشرود :

ـ إنها ذكريات مريرة لا أحب أن أتذكرها .

ـ من فضلك .. حاول من أجلى .

بدا الرجل شاردًا وهو يستعيد الأحداث التى مرت فى تلك الفترة قائلاً :

ـ كانت السيارة التى ركبناها قد بدأت فى التحرك عندما اقتحمت القوات العراقية المكان .

حاول السائق أن يزيد من سرعة السيارة ليهرب بعيدًا عن طلقات النيران ، لكن عددًا من الطلقات أصاب السيارة .. فانقلبت على أحد جانبيها قبل أن تنفجر بمن فيها .

كانت السيارة تضم خمسة عشر شخصًا بمن فيهم السائق .

وعندما انقلبت السيارة لم يفلح سوى أربعة فقط فى مغادرتها قبل أن ينفجر خزان الوقود بها ، ليقضى على من بقى حيًا بعد انقلابها .. وكنت أنا وزوجك أحد هؤلاء الأربعة .

بادر أحدهم بالاستسلام فى حين حاول الآخر مواصلة الفرار .. لكن الجنود العراقيين أطلقوا عليه الرصاص فمات على الفور .

ومن حسن حظى أنا وزوجك أننا وجدنا أمامنا عددًا من الكثبان الرملية المرتفعة .

وكنا قد استطعنا مغادرة السيارة من إحدى نوافذها الأمامية دون أن يلمحنا الجنود العراقيون .

فاندفع كل منا ليدفن نفسه داخل إحدى هذه الكثبان ونحن نهيل علينا الرمال ، وقلبانا وأيدينا ترتجف من شدة الخوف .

وعندما بدأ الجنود العراقيون ينتشرون فى المكان ، ظللت مكانى بلا حراك ، وقد حبست أنفاسى خوفًا من أن ينتبه الجنود العراقيون إلى أننى مختفٍ داخل هذه الكثبان الرملية .

وبرغم إحساسى بأننى على وشك الاختناق .. إلا أن خوفى كان أقوى من حاجتى الشديدة إلى التنفس .

وبعد ساعتين من اضطرارى إلى البقاء على هذا الوضع ، تمكنت من إخراج رأسى تدريجيًا من بين الكثبان الرملية .. حيث لمحت الجنود العراقيين بعيدًا عن المكان الذى دفنت فيه .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، نفضت الرمال عنى بهدوء .. وحاولت البحث عن (محمود) فلم أعثر له على أثر .

قالت له (وفاء) وهى تصغى إليه باهتمام :

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- خضت رحلة شاقة وسط الصحراء .. أملاً فى الوصول إلى الحدود (السعودية) .. حيث تعرضت للأهوال .. وكدت أن ألقى حتفى عدة مرات قبل أن أتمكن من الوصول بأعجوبة إلى هناك .. وأنا شبه ميت .

- وماذا عن زوجى ؟ ألم تلتق به بعد ذلك ؟

- نعم .. لكنى سمعت من أحد رجال حرس الحدود السعوديين وأنا أقترب من حالة فقدان الوعى .. أن هناك من سبقنى فى الوصول إلى الحدود (السعودية) .. بصحبة أحد رجال البدو الرحل .. وكان فى حالة إعياء تام .

وقبل أن أغيب عن الوعى تمامًا ؛ سمعت أحدهم يصف ذلك الرجل الذى سبقنى فى الهرب إلى الحدود (السعودية) .. وكانت تلك المواصفات شديدة الشبه بتلك المواصفات التى تنطبق على الأستاذ (محمود) !

* * *

١١ - لن أتراجع ..

فى (السعودية) التقت (وفاء) بأحد كبار رجال الأعمال المصريين من العاملين هناك ، حيث رحب بها قائلاً :

- أهلاً مدام (وفاء) .

صافحته (وفاء) قائلة :

- أهلاً بك يا (أحمد) بك .

دعاها للجلوس قائلاً :

- إذن .. فـ (إبراهيم المنشاوى) هو عمك ؟

أجابته قائلة :

- نعم .

قال لها مبتسمًا :

- هل تعرفين أن (إبراهيم المنشاوى) يعد من كبار الأطباء الآن فى (كندا) ؟ وأنه صديق حميم لى ؟

قالت له وهى ترجو أن ينتهى من هذه المقدمات سريعًا :

(م ٨ - زهور ٧٥ (لن أبكى))

ـ يسعدنى أن أعرف ذلك .

قال لها وهو يشير إلى العصير الموضوع أمامها لكى تشربه :

ـ لقد اهتممت بذلك الموضوع الذى اتصلت بى من أجله منذ يومين بشأن زوجك .

وعلى الفور قمت بإجراء بعض التحريات هنا .. كما أجريت اتصالاتى بكبار المسئولين السعوديين .. وقد تبين لى فى النهاية الآتى : ......

أصغت إليه باهتمامٍ وقلبها يخفق بشدة ....

حيث استطرد قائلاً :

ـ لقد كان ذلك الشخص الذى نجح فى الوصول إلى الحدود (السعودية) فى أثناء أحداث الخليج هو بالفعل (محمود) زوجك .

تهللِ وجهها بالفرحة قائلة :

ـ حقًا ! إذن فهو ما زال على قيد الحياة .. كان لدى إحساس بذلك .

استكمل حديثه قائلاً :

ـ وقد علمت أنه أرسل بعد ذلك إلى إحدى المستشفيات (السعودية) حيث عولج من آثار رحلة الفرار الشاقة التى قطعها عبر الصحراء .

وبعد أربعة أيام قضاها فى المستشفى كان قد استرد صحته تمامًا .

ثم توجه بعد ذلك إلى السفارة الهولندية فى المملكة .. حيث حصل على تأشيرة دخول إلى هناك .. وسافر إلى (هولندا) !

قالت له بدهشة :

ـ (هولندا) ؟!

أجابها قائلاً :

ـ نعم .. هذا ما علمته من شرطة الجوازات بالسعودية

ـ لكن .. لماذا لم يحاول الاتصال بى لكى يطمئننى عليه ؟

ولماذا لم يعد إلى (مصر) ؟ وما الذى يدعوه إلى السفر إلى (هولندا) ؟

قال لها الرجل متحرجًا :

ـ هذه أمور لا يمكننى التدخل فيها أو العلم بها .. فهى تخص زوجك وحده .. لقد جمعت لك المعلومات التى طلبتها بشأنه .. وهذا هو كل ما استطعت أن أتوصل إليه .

- أشكرك على ما بذلته من جهد من أجلى .

صافحها الرجل قائلاً :

- إننى فى خدمتك وخدمة جميع المصريين هنا .

انصرفت (وفاء) ومشاعرها تتأرجح ما بين السعادة والحيرة .. إنها سعيدة لأنها علمت أن زوجها ما زال على قيد الحياة .. كما أنها أصبحت تعرف الآن مكانه .. والجهة التى توجه إليها .

لكنها لا تستطيع أن تفهم السر وراء ذهابه إلى (هولندا) على هذا النحو .. ولماذا لم يسع إلى الاتصال بها أو مراسلتها ليطمئنها عليه أو يعلمها بسفره ؟

قالت لنفسها :

- ربما تكون رسالته قد تأخرت فى البريد .. وربما أنها وصلت على عنوانها فى (مصر) الآن .

وربما تكون ظروفه المضطربة غير المستقرة هى التى حالت بينه وبين الاتصال بها ، أو إرسال خطاب إليها خلال الفترة الأخيرة .

لكن أية ظروف هذه التى تمنعه من أن يرسل ولو مجرد سطرين فى خطاب ليعلمها بمكانه ، ويطمئنها إلى أنه بخير ، بعد أن انقطع عن مراسلتها شهورًا عديدة ،

خاصة فى ظل الأحداث الأخيرة .. وظروف الحرب .. لا بد أنه كان يدرك جيدًا مدى قلقها عليه واضطراب أعصابها بشأن غيابه .. وغياب رسائله على هذا النحو .

ثم إنه كان يتعين عليه أن يعود إلى (مصر) لا إلى (هولندا) .. هكذا فعلها دون أن يعبأ بمشاعر زوجته التى كادت أن تجن بسببه .

قالت لنفسها وهى تحاول أن تسترد هدوءها :

- إننى لا أدرى .. لا بد أن هناك سببًا لذلك .. ولا بد أنه سيشرح لى كل شىء فى اتصال هاتفى قريب أو خطاب يوضح فيه الأمر .

بل ربما أراه عائدًا خلال الأيام القادمة إلى (مصر) .. ومن يدرى ؟ ربما يكون قد عاد بالفعل .

همست لنفسها قائلة :

- آه يا زوجى الحبيب ! إنك لا تعلم مدى شوقى لأراك .. ومدى قلقى من أجلك .. وحاجتى لأن أستريح من كل هذه المتاعب التى لاقيتها خلال غيابك ، وأن ألقى بنفسى بين ذراعيك لكى أستكين .. وأطرح عن نفسى كل الهموم التى عشتها فى الآونة الأخيرة .

وتلفتت حولها قائلة :

ـ لم تعد هناك حاجة لبقائى هنا .. لا بد أن أعود إلى (مصر) .

فقد أجد هناك فى انتظارى رسالة منه ، أو ربما حاول الاتصال بى هاتفيًا هناك .. أو .. ربما وجدته هو نفسه وقد عاد لنلتقى بعد هذا الفراق الطويل .

لكنها تراجعت قائلة :

ـ ولكن ماذا لو أن شيئًا من هذا لم يحدث ؟ هل أعود للانتظار والترقب مرة أخرى ؟

هل أظل فى لوعة وحيرة وقلق .. على أمل أن أراه أو أسمع صوته أو أتلقى منه خطابًا ؟

وكلما مرت الأيام والأشهر أمنى نفسى بأن هذا سيحدث فى الأيام التالية والشهور القادمة ؟

كلا .. إننى لن أستطيع أن أتحمل ذلك مرة أخرى .. ولا يمكننى أن أدع نفسى أمر بتلك المعاناة القاسية من جديد .

إن ما يطمئننى الآن هو معرفتى بأنه مازال حيًا .. ولكن هل يمكن أن يكون عدم اتصاله بى بسبب ظروف مرضية أخرى حدثت له بعد سفره إلى (هولندا) ؟ وهل هو مازال على قيد الحياة .. أم ؟

هزت رأسها لكى تطرد هذا الخاطر المخيف عن عقلها قائلة :

ـ كلا .. لا داعى لأن أعود إلى مثل هذا التفكير مرة أخرى .

وفكرت قليلاً قائلة :

ـ سأتصل بـ (مصر) لأعرف ما إذا كانت هناك خطابات قد جاءت باسمى .. أو ربما يكون قد اتصل بـ (صفاء) .. لو كان قد اتصل بى فى المنزل فى أثناء غيابى فلم يجدنى .

لا بد أن أتأكد أولاً مما إذا كانت هناك أخبار جديدة تتعلق به قبل أن أعود إلى (مصر) .

سارعت (وفاء) بالتوجه إلى كابينة الهاتف لتجرى عددًا من الاتصالات الهاتفية تساعدها على معرفة أخبار (محمود) .

لكن الاتصالات جاءت مخيبة للآمال .. فلم يصل أى خطاب .. ولا يوجد ما يشير لوجود أى محاولة من جانبه للاتصال بها .. أو مساعدتها للاستدلال على مكانه .

عادت إلى الفندق وهى تكاد تتعثر فى خطواتها ..

وقد عاودتها الأحزان من جديد .. فها هى ذى قد فقدته بعد أن عثرت عليه .

لقد غادر (السعودية) منذ ثلاثة أشهر .. ولا تعرف أىَّ شىء عنه سوى أنه سافر إلى (هولندا) .. لم يحاول خلال هذه الأشهر الثلاثة أن يفعل أى شىء لكى يعلمها بمكانه أو يطمئنها عليه .

إذن فلا بد أن هناك شيئًا أقوى منه ، هو الذى حال بينه وبين ذلك .

إنها تعرف (محمود) جيدًا .. فلا يمكن أن يحول شىء بينه وبين سعيه وراء الاطمئنان عليها وعلى أخبارها .. وتهدئة قلقها بشأنه إلا إذا كان هذا الشىء أقوى منه .

شىء كهذه الحرب اللعينة .. التى توقفت على أثرها خطاباته وأدت إلى تشتيتهما على هذا النحو .

وربما كان ما فكرت فيه من قبل صحيحًا .. فربما كان مريضًا .. أو أنه يمر بظروف قاسية تمنعه من ذلك .

ولكن .. ماذا تفعل هى الآن ؟ هل تعود إلى (مصر) ؟

وماذا تفعل فى (مصر) ؟ لقد مرَت ثلاثة أشهر منذ مغادرته للسعودية ، لم تعرف خلالها ما الذى حدث له ، ولا متى سيعود أو يخبرها عن أحواله .

فهل تعود إلى (مصر) لتنتظر أشهر أخرى مثلها .. وربما أطول وهى تمنى نفسها باتصال منه ، أو خطاب قادم فى الطريق ؟

كلا .. لم يعد هناك ما يدعوها للعودة إلى (مصر) بدون أن تطمئن على زوجها .. وبدون أن يكون موجودًا هناك .

إذا كان قد سافر إلى (هولندا) .. فسوف تسافر هى أيضًا إلى (هولندا) لتبحث عنه هناك .. ولن تعود قبل أن تلتقى به .

ولكن كيف ستعثر عليه هناك ؟ هل ستدور فى الشوارع والطرقات ، وتجوب أقسام الشرطة والمستشفيات بحثًا عنه ؟

كيف تعثر عليه وسط ملايين من البشر وزحام المدن هناك ؟

ثم من أين تدبر المال اللازم لهذا السفر ومصاريف الإقامة وما إلى ذلك ؟

لقد استنفدت جزءًا كبيرًا من المال الذى حصلت عليه بعد بيع مصاغها فى السفر والإقامة فى (الكويت) و (السعودية) ، ولا بد أن تذكرة السفر إلى (هولندا) ستستنفد جزءًا آخر من ميزانيتها .. فمن أين تدبر مصاريف إقامتها ؟ خاصة وهى لا تدرى كم من الوقت ستقضيه هناك ؟ وما هى النفقات التى سيتعين عليها أن تتحملها ؟

إن كل هذا جنون .. وسفرها إلى بلد أجنبى على هذا النحو بلا مصاريف كافية .. وبلا أية معلومات يمكن أن تساعدها فى البحث عن زوجها .. أو تدلها على الجهة التى يمكن أن تذهب إليها .. يعد أمرًا خاطئًا للغاية .

لكنها اتخذت قرارها .. وسوف تتحمل عاقبته مهما كانت .. المهم أن تجد (محمود) ، مهما كانت الصعاب التى لاقتها والتى ستلاقيها فى سبيل ذلك .

★ ★ ★



١٢ - خفقات قلبى ..

مرَّ أسبوع على وجودها فى العاصمة الهولندية (أمستردام) ، حاولت خلاله معرفة مكان زوجها ، أو الحصول على أيَة معلومات ترشدها دون جدوى .

وبدأت تشعر باليأس والقلق خاصة بعد أن أصبحت لا تملك سوى بضعة جنيهات قليلة .. لا تكفى لبقائها فى الفندق الذى تنزل به سوى يومين فقط .

كانت تعرف منذ البداية أن مجيئها إلى هنا يعد خطأ كبيرًا .. لكنها أصرّت على السفر إلى (هولندا) .. ومواصلة البحث عن (محمود) .. فماذا ستفعل الآن ؟

من حسن حظها أن تذكرة السفر التى تحملها كانت ذهابًا وعودة .. فهل تعود الآن إلى (مصر) وتكتفى بما قامت به من بحث حتى الآن ؟

أم تستمر فى مواصلة البحث ما دامت قد وصلت إلى هذا الحد ؟

ولكن كيف يمكنها أن تستمر وهى لا تجد المال

الكافى لنفقاتها هنا لأكثر من يومين فقط ؟ وكيف يمكنها تدبير أمرها إذا ما أرادت الاستمرار ؟

صمتت برهة وهى تفكر .. ثم ما لبثت أن قالت لنفسها :

ـ العمل .. لا بد وأن أجد عملاً يعيننى على تحمل نفقاتى .. ومواصلة البحث عن زوجى .

كما يتعين على أن أقتصد فى نفقاتى من مصاريف إقامتى حتى لا أستنفد كل ما لدى من نقود .

سأغادر هذا الفندق وأبحث لنفسى عن فندق آخر أو أى مكان يأوينى مقابل مبلغ أقل .

ولا بأس بتناول وجبتين رخيصتين فقط طوال اليوم بدلاً من ثلاث وجبات .. بل أستطيع أن أكتفى بوجبة واحدة فقط .

المهم أن أجد لنفسى عملاً أولاً وبأى ثمن .

★ ★ ★

عثرت (وفاء) على عمل بصعوبة كعاملة فى أحد مصانع الحلويات ، براتب صغير وبعد جهد شاق من أجل البحث عن عمل .

وكانت تمارس عملها من الثامنة صباحًا وحتى الرابعة مساء ، ثم تغادر المصنع لتبدأ رحلة البحث

عن زوجها الغائب .. وتعود فى نهاية اليوم منهكة وقد خارت قواها من شدة التعب لتلقى بنفسها على الفراش فى أحد الفنادق الرخيصة التى انتقلت للإقامة فيها .

وحتى يوم الإجازة التى تحصل عليها من المصنع فى نهاية الأسبوع ، كانت تقضيه فى مواصلة البحث عن زوجها والانتقال إلى مدن مجاورة ، وهى تذهب من مكان لآخر وتسأل هنا وهناك علها تعثر له على أثر ، وظلت على هذا الحال شهرًا كاملاً اعتلت فيه صحتها وكسا الشحوب وجهها .. خاصة وأنها لم تكن تتناول غذاء كافيًا يتناسب مع المجهود الذى تبذله .

وفى أحد الأيام غادرت عملها وتوجهت إلى أحد المحال التجارية كالمعتاد لتسأل صاحبه قائلة :

ـ هل حاول أحدهم أن يلتحق بالعمل لديك خلال الفترة الماضية ؟

نظر إليها صاحب العمل باستغراب قائلاً :

ـ وما شأنك بذلك ؟

حاولت أن توضح له قائلة :

ـ إننى أحاول الاستفسار .....

لكنه قاطعها قائلاً :

ـ إذا كنت تبحثين عن عمل .. فلا عمل لدى .

ـ إننى لا أبحث عن عمل لنفسى .. بل أحاول معرفة ما إذا كان هناك شخص قد طلب أن يلتحق بالعمل لديك .. يُدعى (محمود) .

وأخذت تشرح له مواصفات زوجها .

قال لها الرجل بعد أن انتهت من شرح ما أرادته بكثير من الجهد ، خاصة أنه كان يتكلم الإنجليزية بصعوبة :

ـ كلا لم يطلب منى شخص له هذه المواصفات أن يلتحق بالعمل لدى .. كما إننى لا أعين الأجانب للعمل فى متجرى .

قالت له باستسلام :

ـ أشكرك .

كانت قد اعتادت على أن تسمع مثل هذه الإجابات .. لكنها دربت نفسها على ألا تيئس أو تضعف .

فتأهبت لمغادرة المتجر للذهاب إلى المصنع الذى يجاوره .

وفى تلك اللحظة كان هناك شخص يشترى بعض

الأشياء من المتجر ، واستمع إلى الحوار الذى دار بينها وبين صاحب المتجر مصادفة .. فلحق بها قبل أن تبتعد عن المكان قائلاً :

ـ هل تسمحين لى ؟

توقفت وهى تنظر إليه بدهشة .. فقد كان يحدثها بلهجة عربية سليمة .

ابتسم وهو يقترب منها قائلاً :

ـ أنت عربية .. أليس كذلك ؟

أجابته قائلة :

ـ بلى .. أنا من (مصر) .

مد لها يده مصافحًا وهو يقول :

ـ لقد خمنت ذلك .. فمظهرك .. وطريقة كلامك مع صاحب المتجر يدلان على ذلك .

اسمحى أن أقدم لك نفسى .. (عدنان الطويقى) .

ـ إذن فأنتَ عربى .

أجابها قائلاً :

ـ نعم .. أنا رجل أعمال .. وقد جئت إلى (هولندا) من أجل السياحة .

اعذرينى إذا كنت قد سمعت الحوار الذى دار بينك

وبين صاحب المتجر مصادفة .. لكنى أظن أنك كنت تسألين عن زوجك الغائب .

أجابته قائلة :

ـ نعم .

سألها قائلاً :

ـ لقد قلت إنه يدعى (محمود) .. وإنه أسمر البشرة ويتميز بطول فارع وقوام ممشوق .. وأظن أنه من خلال تلك المواصفات التى أوضحتها عن هذا الرجل فإننى أعرفه .

صاحت قائلة :

ـ حقًا ؟ هل يمكنك أن تدلنى على مكانه ؟

أجابها قائلاً :

ـ إنه ينزل فى حجرة بنفس الفندق الذى أقيم به استأجرتها له على حسابى ، فعندما التقيت به كان فى حالة صحية ومادية سيئة للغاية .. سرعان ما تعارفنا ، وعندما علمت أنه مصرى زادت أواصر الصداقة بيننا لما أحمله للمصريين بوجه خاص من محبة وتقدير .. فطلبت منه أن يعمل معى مقابل راتب مجز .. وطلبت منه أن يرافقنى فى رؤية الأماكن السياحية فى

(هولندا) باعتبار أنه سيبقى فى الإقامة هنا منذ بضعة أشهر .. ثم نسافر معًا بعد أن تنتهى إجازتى .

تهلل وجهها بالفرحة قائلة :

ـ من فضلك .. هل يمكنك أن تصحبنى إلى ذلك الفندق ؟

أجابها قائلاً :

ـ بالطبع .

وفى الفندق قال لها الرجل بعد أن تحدث إلى موظف الاستقبال :

ـ إنه فى غرفته سأصعد لأستدعيه لك .. أم تفضلين أن تصعدى إليه بنفسك ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. إننى سأنتظره هنا .. لكن من فضلك لا تقل له إن زوجته هى التى تنتظره .. فأنا أفضل أن أفاجئه بذلك .

ابتسم قائلاً :

ـ إننى أفهم ذلك بالطبع .. حسن .. سأجعله يأتى إليك حالاً .. لكن لا تحاولى مبارحة هذا المكان .

ـ لن أتحرك من مكانى .

وقبل أن يتوجه الرجل إلى المصعد استوقفته قائلة :

ـ لن أنسى لك هذا المعروف .

قال لها الرجل بنبرة هادئة :

ـ أرجوك لا تقولى هذا .. فإنه من دواعى سرورى أن أكون السبب فى لقاء زوج وزوجه تغيبا عن بعضهما وقتًا طويلاً من الزمن .

ظلت (وفاء) تروح وتغدو فى قاعة الفندق ، وقد أحست بقلبها يتراقص بين أضلعها من شدة الفرحة .

فعمًا قليل ستلتقى بـ (محمود) .. بعد كل هذا العناء الذى لقيته .

وبعد لحظات قليلة سينتهى عذابها الذى عاشته طوال الأشهر الماضية ، وهى تحاول تعرف مصيره .. وكل الآلام التى مرت بها منذ رحيله .

وفجأة توقفت فى مكانها وهى تقول لنفسها :

ـ لكن ماذا لو لم يكن هذا الشخص هو (محمود) ؟ ربما كان شخصًا آخر يشبهه .. أو ربما اختلط الأمر على ذلك الرجل الطيب الذى يحاول مساعدتك ؟

حاولت أن تنفض عن تفكيرها هذا الخاطر المزعج قائلة :

ـ كلا .. لقد أكد لى أن كل المواصفات التى ذكرتها عن زوجى تنطبق تمامًا على الشخص الذى يصاحبه .. ولا بد أنه هو (محمود) .

أحست بحالة من التوتر الشديد .. وهى تتطلع إلى المصعد وتنظر إلى وجوه الأشخاص الذين يغادرونه مترقبة رؤية ذلك الشخص الذى حدثها عنه (عدنان) .

وأخذت تتضرع إلى الله ، وهى تدعو أن يكون ذلك الشخص هو زوجها الذى طال بحثها عنه .

وما لبث أن فتح باب المصعد ليخرج منه (عدنان) بمفرده .. فاندفعت نحوه وهى تتطلع إلى وجهه فى قلق قائلة :

ـ لماذا لم يأت معك ؟

أجابها قائلاً :

ـ مع الأسف .. لقد كان يشكو من الأرق ليلة أمس .. وأخبرنى بأنه لم يستطع أن ينام طوال الليل .. فأشرت عليه بتناول أحد الأقراص المنومة التى اعتدت أن أتناولها إذا ما انتابنى أرق .

لكن يبدو أنه تناول قرصين من هذه الأقراص ليحصل على قسط وافر من النوم مما أعجزنى عن

إيقاظه .. لقد بذلت معه محاولات عديدة لكنه مستسلم للنوم تمامًا .. ولا أظن أنه يستطيع مغادرة فراشه قبل ساعتين على الأقل .

ـ هل يمكننى أن أراه ؟ أريد أن أتأكد أنه زوجى .

أجابها سريعًا قائلاً :

ـ بالطبع .. يمكننى أن أصطحبك إلى غرفته لو أردت .

ـ سألقى عليه نظرة سريعة .. ثم أعود لأنتظره هنا حتى يستيقظ .

ابتسم قائلاً وهو يصطحبها إلى المصعد :

ـ وما الداعى إلى ذلك ؟ يمكنك أن تبقى فى غرفته حتى يستيقظ ما دمت قد تأكدت أنه زوجك .

صعدت معه إلى إحدى حجرات الفندق ، حيث أشار إليها أن تتقدمه قائلاً :

ـ تفضلى .

وتوقف أمام إحدى الحجرات قائلاً :

ـ ها هى ذى حجرته .

ثم أخرج مفتاحًا من جيبه قائلاً :

ـ لقد ترك معى مفتاح غرفته حتى لا أزعجه وأوقظه من النوم إذا أردت المجىء إليه .

وفتح باب الحجرة وهو يدعوها إلى الدخول قائلاً :

ـ تفضلى .

تقدمت إلى الداخل وقلبها يخفق بشدة ، وقد اضطربت كل حواسها وهى تأمل أن تجد زوجها فى هذه الحجرة .

بينما أغلق (عدنان) الباب وهو يشير إلى أحد أركان الحجرة الفسيحة قائلاً :

ـ تفضلى بالجلوس .

قالت له وهى تنظر إلى الفراش الذى بدا أن أحد الأشخاص قد تدثر بالغطاء فوقه على نحو أخفى وجهه :

ـ أفضل أن أرى وجه الشخص الذى حدثتنى عنه أولاً .

قال لها مبتسمًا :

ـ فلنتناول شرابًا منعشًا أولاً .

قالت له وهى تتجه نحو الفراش مباشرة :

ـ إننى لا أريد شيئًا سوى التأكد من أن هذا الشخص النائم هو زوجى .

ورفعت الغطاء فلم تر أسفله سوى وسادة طويلة .. ولم تجد أى أثر لأى شخص .

صاحت قائلة :

ـ ما هذا ؟!

ضحك الرجل ضحكة قصيرة قائلاً :

ـ آسف يا عزيزتى .. يبدو أن زوجك قد خدعنا وطار من العش .. على أية حال .. دعك منه الآن ودعينا نقض بعض الوقت معًا .

انفعلت قائلة :

ـ يا لك من وغد مخادع ! كيف تسمح لنفسك أن تتلاعب بمشاعر الآخرين هكذا .. وأن تستغل ظروفهم على هذا النحو ؟

قال لها ببرود وهو يحاول الإمساك بذراعها :

ـ لا داعى لهذا الانفعال الزائد .. إننى أمنحك فرصة تحلم بها أية فتاة أو امرأة أخرى .

فبدلاً من التسكع فى الشوارع والطرقات بحثًا عن الزوج الذى هجرك .. فإننى يمكن أن أمنحك هنا كل ما تحتاجين إليه .. مسكنًا دافئًا .. طعامًا فاخرًا .. ثيابًا باهظة الثمن .. وأى نقود تحتاجينها .

لقد أعجبت بك منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناى عليك ، برغم شحوب وجهك وسوء مظهرك ..

لكنك تبدين فى نظرى أجمل من أية امرأة أخرى وقعت عليها عيناى .

جذبت ذراعها من يده بشدة وهى تصيح فى وجهه قائلة :

ـ أنت إنسان وضيع مجرد من الأخلاق !

احتقن وجهه من الغضب وهو يهجم عليها قائلاً :

ـ سأجعلك تندمين على هذا .

حاولت أن تخلص نفسها منه لكنه قبض على ذراعيها بقوة ووحشية فأخذت تصرخ وهى تحاول مقاومته .

وما لبث أن توالت الطرقات على الباب بشدة .. ثم فتح الباب فجأة ليدلف إلى الداخل أحد موظفى الفندق ، واثنان من رجال الأمن .

وقبل أن يدلفا إلى الداخل بادر الرجل بنزع ساعته الذهبية .. ودسها فى جيب (وفاء) .

* * *



١٢ - لقاء غير متوقع ..

اقتحم ضابط الأمن الحجرة قائلاً :

- ما الذى يجرى هنا ؟

حاولت (وفاء) أن تستنجد به قائلة :

- إن هذا الشخص حاول أن .....

لكن الرجل قاطعها وهو يندفع نحو ضابط الأمن المسئول قائلاً :

- لقد وجدت هذه المرأة فى حجرتى ، وهى تعبث فى أشيائى الخاصة .. ولما حاولت أن أمنعها من السرقة أخذت تصيح وتصرخ .

انفعلت (وفاء) قائلة :

- أتتهمنى بالسرقة ؟ هل بلغت بك الوقاحة هذا الحد ؟

قال (عدنان) متجاهلاً كلماتها :

- من فضلك .. إننى أطالب بتفتيش هذه اللصة .. فأنا أعتقد أنها استولت على بعض الأشياء الثمينة التى تخصنى .

حاولت (وفاء) أن تدافع عن نفسها وهى تصرخ قائلة :

- إنه .. هو الذى .....

لكن ضابط الأمن قاطعها بحزم قائلاً :

- فليصمت الجميع !

ثم نادى إحدى عاملات الفندق قائلاً :

- فلتقومى بتفتيشها .

قامت الفتاة بتفتيش ثياب (وفاء) .. وما لبثت أن أخرجت الساعة الذهبية من جيبها .

نظرت (وفاء) إلى الساعة فى ذهول فى حين أشار (عدنان) إليها قائلاً :

- ألم أقل لك ؟ هذه هى ساعتى .

حدقت (وفاء) فى الساعة وهى تهز رأسها قائلة :

- إننى لا أدرى شيئًا عن هذه الساعة ؟ ولا أعرف كيف جاءت إلى جيبى !

سألها ضابط الأمن :

- إنها ليست ساعتك بالطبع .. ولا بد أن هناك تفسيرًا لوجودها فى جيبك .

قالت له (وفاء) وهى تكاد أن تبكى :

ـ أقسم لك إننى لا أعرف شيئًا عن هذه الساعة .

وفجأة تحولت إلى (عدنان) وهى تصيح فى وجهه قائلة :

ـ لا بد أنك أنت الذى وضعتها فى جيبى لكى تدارى فعلتك الدنيئة .

لكن ضابط الأمن حال بينها وبين الاقتراب منه قائلاً لزميله :

ـ احتجزها حتى أستدعى الشرطة .

لكن قبل أن يضع رجل الأمن يده عليها اندفعت تركض خارج الحجرة بأقصى ما لديها من سرعة .

وقد أصاب تصرفها المفاجئ على هذا النحو الجميع بالارتباك .

ومن حسن حظها أنها وجدت باب المصعد مفتوحًا .. فقفزت بداخله قبل أن يلحق بها أحد من هؤلاء الذين انطلقوا فى إثرها .

وضغطت على الزر المؤدى إلى الطابق الأرضى فى اللحظة التى كاد فيها ضابط الأمن أن يضع يده عليها .

وما إن استقر بها المصعد فى الطابق الأرضى حتى غادرته مسرعة .. وقد اصطدمت ببعض الأشخاص فى اندفاعها نحو الباب الخارجى للفندق .

وسرعان ما تمكنت من مغادرته وهى تواصل الركض محاولة الابتعاد بأقصى ما تستطيع ، وقد أخذت تلهث بشدة ، وقد تملكها إحساس شديد بالخوف .. حتى أحست بأن قلبها يوشك على التوقف .. وبعد مجهود شاق تمكنت من الابتعاد عن الفندق .

وعادت إلى فندقها وهى فى حالة إعياء تام .. حيث ألقت بنفسها على الفراش ثم انخرطت فى بكاء عنيف .

توجهت (وفاء) فى اليوم التالى إلى عملها .. لكنها لمحت أحد رجال الشرطة وهو يتحدث إلى صاحب العمل من بعيد .. فأيقنت أن هذا بسبب التهمة المنسوبة إليها .. وأن هذا يعنى أن رجال الشرطة قد بدءوا فى اقتفاء أثرها للقبض عليها .. وهذا يعنى أن تودع فى السجن .. وقد لا تستطيع إثبات براءتها .

وربما مرّ عليها وقت طويل قبل أن تغادر السجن ، وترى زوجها مرة أخرى .

إذن لا بد أن تهرب قبل أن يتمكنوا من العثور عليها !

وها هى ذى قد فقدت فرصتها فى العمل .. وفقدت المورد المالى الوحيد الذى كان يمكنها أن تعتمد عليه .

أخذت تسير فى الطريق على غير هدى وقد بللت العبرات وجنتيها .

زاد إحساسها بالحيرة والشقاء ، وقد استمرت فى السير طوال اليوم وهى تواصل البحث عن زوجها .

ظلت تنتقل من مكان إلى آخر وهى تسأل عن الزوج الغائب دون أن تتلقى إجابة شافية .

تملكها إحساس بالوحدة وبأنها قد أصبحت مطاردة .. وأخذت تتوارى عن الأعين كلما لمحت أحد رجال الشرطة حتى أنهكها التعب .. وأحست بأن قدميها لم تعودا تقويان على حملها .

وفجأة عاودها ذلك الدوار الذى أحسته من قبل .. فتهاوت على الأرض .

وعندما استردت وعيها وجدت نفسها بين جمع من الناس ، وقد سألتها سيدة عجوز عما إذا كانت بحاجة للذهاب إلى المستشفى أو استدعاء طبيب ، لكنها شكرتها قائلة :

ـ كلا .. إنها مجرد إغماءة بسيطة .

عادت السيدة العجوز لتسألها قائلة :

ـ هل أستدعى لك سيارة أجرة ؟

تحسست النقود الموجودة فى جيبها فلم تجد معها ما يكفى لهذا الترف .. فقالت لها وهى تنهض على قدميها :

ـ كلا .. إننى أقيم فى مكان قريب من هنا .

تابعت سيرها وهى تجر قدميها وقد أحست بأنها بحاجة ماسة إلى الراحة .

واقتربت من الفندق وهى تأمل أن تلقى بجسدها المنهك على الفراش ، بعد أن أضناها الجوع والتعب .. لكن قبل أن تصل إلى الفندق لمحت عددًا من رجال الشرطة واقفين أمام المدخل .. فتراجعت إلى الوراء وملامح الخوف فى عينيها .. حيث أخذت تبتعد عن الفندق تدريجيًا .

كانت بحاجة شديدة للراحة بعد كل هذا الجهد الذى بذلته .

وسرعان ما لمحت أمامها سيارة أتوبيس تتوقف أمام المحطة ، وقد غادرها بعض الركاب فأسرعت بالركوب قبل أن تتحرك السيارة من المحطة .

سألها السائق عن وجهتها ، فأجابته قائلة :

- إننى ذاهبة إلى نهاية الخط .

استمرت السيارة فى مواصلة طريقها حتى وصلت إلى نهاية الخط .

ولم يعد متبقيًا سواها ورجل عجوز بعد أن غادرها بقية الركاب .

كانت قد استسلمت للنوم عندما نبهها السائق قائلاً :

- سيدتى .. لقد وصلنا إلى نهاية الخط .

فتحت عينيها بصعوبة .. وقد وجدت نفسها مضطرة إلى مغادرة السيارة .. حيث عادت لتسير على قدميها بلا هدف .. وهى لا تدرى إلى أين تذهب ؟ وماذا تفعل ؟

حتى تذكرة الطائرة اضطرت إلى تركها فى حجرتها بالفندق مع بقية متعلقاتها .

وأحست بجسدها يرتعد من شدة البرد .. وقد اشتدت عليها وطأة الجوع والتعب .

وما لبثت أن لمحت كافتيريا صغيرة على الرصيف المقابل .. فقررت الذهاب إليها والاحتماء بها من البرد الشديد ، ولترى ما إذا كانت النقود القليلة

المتبقية معها تكفى للحصول على سندوتش وكوب من الشاى .

وقفت على الرصيف تحدق فى السيارات المارة أمامها ، وهى تنتظر أن تضىء الإشارة الخضراء التى تسمح بعبور المشاة لكى تنتقل إلى الرصيف الآخر ، وبينما هى فى وقفتها هذه رأت شخصًا على الرصيف المقابل يلوح بيديه .. لم تعطه اهتمامًا كبيرًا فى البداية وقد ظنت أنه يحاول لفت انتباه شخص ما .

لكنها رأته ينظر فى اتجاهها وهو مستمر فى التلويح بكلتا يديه بشكل ملفت للنظر .

وكم كانت دهشتها عندما سمعته يهتف باسمها .. وقد تبينت أنه يلوح لها .

لم تصدق أنها يمكن أن تجد فى هذا المكان من يعرفها أو يتعرف اسمها .. وكانت عيناها زائغتين من شدة الإرهاق والجوع .. لكنها حاولت أن تدقق النظر فى ذلك الشخص الذى يلوح لها .. وما لبثت أن تعرفته فهتفت قائلة بصوت هامس وهى لا تصدق نفسها :

- (صلاح) ! غير معقول !

وسرعان ما تبدلت ملامحها وتهلل وجهها بالفرحة وهى تردد قائلة :

- (صلاح) ! إنه فعلاً (صلاح) .

أخذت تلوح لـه بدورها وهى تقفز على الرصيف منادية باسمه .

ثم اندفعت فى اتجاهه وهى تحاول عبور الشارع ، دون أن تهتم بإشارات المرور ، أو تأخذ حذرها من السيارات المتدفقة عبر الطريق .

وما إن رآها وهى مقبلة نحوه هكذا حتى ارتسمت ملامح الذعر على وجهه ، وقد أخذ يناديها قائلاً :

- (وفاء) .. احترسى !

لكن تحذيره جاء متأخرًا .. فقد صدمتها إحدى السيارات المسرعة .

* * *



١٤ - مشاعر لم تمت ..

جلس (صلاح) بجوار سريرها فى المستشفى وهو يراقبها فى هدوء ، وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه .

كانت مستغرقة فى نوم عميق .. وقد أعادت إليه رؤيتها على هذا النحو ذكرى هذا الوجه الملائكى الذى طالما أحبه .. وتمنى أن تكون صاحبته زوجة له فى يوم من الأيام .

لكن القدر أبى أن تتحقق له هذه الأمنية .

لقد كانت (وفاء) جارته فى الشارع الذى كان يقيم به فى (العباسية) .. وتوطدت الصلة بين والدتها ووالدته بحكم الجيرة فكانتا تتزاوران دائمًا .

ومنذ أن وقعت عيناه على (وفاء) تعلق قلبه بها برغم أنهما كانا فى سن صغيرة .

وبرغم مرور السنين .. وانتقالهما من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا والشباب ؛ إلا أن قلبه ظل متعلقًا بـ (وفاء) وعيناه لاتريان سواها .

وأسعده أنه استطاع أن يزداد تقربًا منها عندما كانا فى مرحلة الثانوية العامة .. فقد كان كل منهما يستعين بالآخر بحكم الجيرة والصلة الوطيدة التى تربط بين الأسرتين فى مراجعة بعض المواد الدراسية .

وابتسم وهو يتذكر عندما كان يتحجج دائمًا بحاجته إلى فهم بعض الدروس المقررة برغم استيعابه الكامل لها حتى يجد مبررًا للجلوس إليها والتحدث معها .

وبرغم حبه الشديد لها إلا أنه كان يشعر بعجزه عن التعبير عن هذا الحب .

كما أحس بأن المرحلة التى يمران بها فى تلك الفترة .. ستجعل هذا الحب ـ لو أراد التعبير عنه ـ فى نظر الآخرين ، وربما فى نظرها هى أيضًا أشبه بلعب الأطفال .. وسيفسر على أنه نوع من المراهقة .

لذا لم يشأ الإفصاح عن هذا الحب .. لأنه كان يعتز كثيرًا بمشاعره نحوها ،

وكان واثقًا برغم سنه الصغيرة وقتها أن حبه لـ (وفاء) غير مرتبط بالمرحلة التى يمر بها .. بل هو أكبر وأعمق بكثير مما قد يظنه الآخرون .. أو اعتادوا على تسميته مقترنًا بفترة من العمر .

فحبه لها كان نابعًا من مشاعر حقيقية وليست وقتية .

مشاعر من ذلك النوع الذى ينمو ويكبر ثم لا يموت أبدًا إلا بموت صاحبه ..

وبعد أن اجتاز كل منهما مرحلة الدراسة الثانوية ، وانتقلا إلى الجامعة ، تعذر عليه رؤيتها على النحو الذى اعتاده من قبل .. خاصة وأن كلاً منهما التحق بكلية مختلفة .

وأحس أنه يفتقدها كثيرًا بعد أن تباعدا على هذا النحو .. ولم يعد قادرًا على أن يحظى منها سوى ببعض اللقاءات العابرة ، بعد أن كان يراها بصورة شبه دائمة .. ويسعد بالجلوس معها والتحدث إليها وهو يرجو عقارب الساعة أن تتوقف لكى يظل بجوارها على هذا النحو .. دون أن تتنبه لمرور الوقت .

فلم تكن هذه اللقاءات العابرة كافية لتخمد نيران مشاعره المتوهجة نحوها .

وقرر ذات يوم أن يتجاسر ويفصح لها عن حقيقة هذه المشاعر ، خاصة وقد صور له قلبه أنها تبادله بعضًا منها ..

لكنها أخبرته بالحقيقة التى صدمت مشاعره ، وهى أنها لا تحمل له سوى مشاعر الأخوة والصداقة .. كما صرحت له بأنها تحب شخصًا آخر زميلاً لها فى الكلية .

وقالت له فى نهاية اللقاء إنها تتمنى ألا يؤثر ذلك على الصلة التى تربط بينهما ، خاصة وأنها تشعر بإعزاز كبير لتلك المشاعر التى تحملها نحوه .. وتقديرًا كبيرًا له .. وتتمنى أن يبادلها ذات المشاعر ..

كان من السهل عليها أن تقول ذلك .. فما أسهل الكلمات .. وما أصعب تنفيذها .

وكيف كان يتسنى له أن يتحول بهذه المشاعر الجياشة إلى وجهة أخرى بمثل هذه السهولة التى تطلبها منه ؟

لقد احتاج الأمر إلى وقت طويل لكى يسيطر على هذه المشاعر ويروضها لكى تبقى فى النهاية حبيسة قلبه .. وفى جزء مغلق داخل أغوار نفسه .. لا يسمح لها بالظهور إلا كلما استدعاها .. أو أراد أن يسترجع ذكرى هذا الحب الذى بدأ منذ سنوات الطفولة .

لم يستطع التخلص من مشاعر الحب التى يحملها

لها على النحو الذى طلبته لكنه استطاع أن يحتفظ بها كذكرى غالية وعزيزة على نفسه وقلبه ..

وإن أصبح يتعامل معها كلما شاءت الظروف أن يلتقى بها على النحو الذى أرادته تمامًا ، دون أن يحاول تجاوز ذلك أو التعبير عن مشاعره الحقيقية مرة أخرى .

وها هو ذا يلتقى بها مرة أخرى بعد كل هذه السنين .. وفى دولة أجنبية .. لينتهى لقاؤهما بتعرضها لحادثة .. وجلوسه بجوارها وهى راقدة على سرير فى مستشفى .. فيا لأعاجيب القدر .. ويا لقسوته !

ترى .. ما الذى جاء بها إلى هنا ؟ ولماذا كانت تبدو على هذه الحالة السيئة ؟

تقلبت فى فراشها وهى تفتح عينيها .. لتراه جالسًا أمامها ..

فابتسم لها قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

قالت بصوت واهن :

ـ (صلاح) !

ـ كنت أتمنى ألا يأتى لقاؤنا فى مثل هذه الظروف

السيئة .. إننى لن أسامح نفسى على ما تسببت لك فيه من أذى .

قالت وهى تحاول أن تعتدل فى جلستها :

ـ أنا التى أخطأت بعبورى الطريق دون أن أنتبه لإشارة المرور وحركة السيارات .

ـ نعم .. ولكن لولا ظهورى المفاجئ ومناداتى إياك ما كان قد حدث ما حدث .

قالت له وهى تستند إلى الوسادة التى وضعها خلف ظهرها :

ـ لقد سعدت حقًا برؤيتك .

ـ وأنا أيضًا .. وإن كنت لم أصدق نفسى فى البداية .. على أية حال .. إن ما يخفف قليلا من إحساسى بالذنب هو أن إصابتك بسيطة .. وقد أكد لى الطبيب أنه لا يوجد سوى بعض كدمات فى الذراع وبعض الخدوش السطحية فى الظهر .

ابتسمت فى ضعف قائلة :

ـ عمر الشقى بقى !

ـ لكن الطبيب أوضح لى أن ما تعانينه من ضعف وهزال أكبر من حجم الإصابة .

ـ لا أستطيع أن أنكر ذلك .. فلو لم أقع على الأرض فى أثناء اندفاعى نحوك ، وفزعى من ظهور السيارة المفاجئ .. لوقعت من شدة الجوع والتعب .

قال لها (صلاح) مشفقًا :

ـ يبدو أنك كنت تمرين بأوقات عصيبة خلال الأيام الماضية .

ـ أصعب مما تتصور .. لذا فعندما رأيتك كنت بالنسبة لى أشبه بطوق نجاة يمكن أن ينتشلنى من الغرق .

ابتسم لها قائلاً :

ـ أنت تعرفين أننى مستعد لمساعدتك دائمًا وتقديم أى عون تحتاجين إليه ، لكن قبل أن تحدثينى عن مشكلتك وعن السبب الذى أتى بك إلى (هولندا) .. أريد أولاً أن تعدينى باتباع التعليمات التى سيخبرك بها الطبيب هنا .. وأن تلتزمى بتناول الطعام والفيتامينات التى سيقدمونها لك فى المستشفى طوال الأسبوع القادم .

وذلك حتى تستردى صحتك وتعودى إلى حالتك الطبيعية .

قالت (وفاء) بقلق :

ـ هل يعنى هذا أننى لن أتمكن من مغادرة المستشفى قبل أسبوع ؟

ـ نعم .. فأنتِ بحاجة للراحة والطعام الجيد وعناية طبية .

قالت له بتحرج :

ـ لكننى لا أستطيع .. أعنى .. أننى ..

ابتسم قائلاً وقد أدرك سرّ حرجها :

ـ لا تحملى همًا .. فأنا سأتكفل بكل شىء .. المهم أن تستردى صحتك .

ـ لكن ما ذنبك لكى تتحمل ؟

وضع إصبعه على شفتيه وهو يشير لها قائلا :

ـ لا تحاولى أن تقولى شيئًا .. فهذا واجبى قبل أى شىء لأنك فتاة مصرية .. فى دولة أجنبية .. قبل أن تكونى صديقة وأختًا عزيزة علىّ .. أم أنك قد نسيت ؟

ثم إن منصبى يحتم علىّ ذلك ؛ لأننى أعمل فى السفارة المصرية هنا ..

ابتسمت قائلة وقد أحست بالأمان فى وجوده :

ـ إذن هذا يفسر وجودك هنا .

قال (صلاح) وهو ينظر فى ساعته :

ـ أما أنت فستفسرين سبب وجودك هنا لى فيما بعد ، لأنهم سيحضرون لك طعام الغداء بعد دقيقتين من الآن .. كما سيقوم الطبيب المختص بإجراء بعض الفحوص الطبية كما أخبرونى .

وأنت تعلمين أنهم هنا دقيقون تمامًا فى احترامهم للمواعيد ، والتزامهم بالتعليمات .

وأنا لن أغادر المستشفى قبل أن أتأكد من التهامك لكل الطعام الذى سيقدمونه لك .

ضحكت قائلة :

ـ اطمئن .. فأنا مستعدة لالتهام ضعف كمية الطعام التى سيقدمونها لى لأننى أشعر بأننى جائعة للغاية .

نهض قائلاً :

ـ حسن .. ما دام الأمر كذلك فسوف أذهب لقضاء بعض الأعمال .. ثم أعود إليك بعد ساعتين .. لتقصى علىّ كل شىء ؟

واتجه نحو الباب فاستوقفته وهى تناديه قائلة :

ـ (صلاح) !

التفت إليها حيث وجدها تبتسم بامتنان قائلة :

- أشكرك على كل ما فعلته من أجلى .

ابتسم لها بدوره دون أن يعلق بشىء .. ثم فتح باب الغرفة حيث نادته مرة أخرى .. قائلة :

- لا تتأخر على :

- اطمئنى .. سأكون هنا قبل انقضاء الساعتين .

استرخت فى فراشها بعد انصرافه .. وقد ارتسمت ملامح الارتياح على وجهها ، فما أجمل أن يعثر المرء على شخص يحمل له الكثير من الحب والإعزاز ، ويمكنه أن يثق به وهو يمر بمثل هذه الظروف القاسية التى تعرضت لها .

ولكن هل يمكن لـ (صلاح) أن يساعدها على التغلب على المحنة التى تمر بها ؟

وهل يمكنه أن يفعل شيئًا لتبرئتها من الاتهام المنسوب إليها ؟ وإبعاد شبح مطاردة الشرطة لها ؟

أم أن ظروفه ومنصبه الحساس سيحولان بينه وبين ذلك ؟

ثم - وهذا هو الأهم - هل يستطيع أن يساعدها فى العثور على زوجها ؟

أغمضت عينيها وهى تحاول ألا تثقل على نفسها

بالهموم مرة أخرى ، وأن تسترخى بقدر ما تستطيع وهى تقول لنفسها ..

- أعتقد أن (صلاح) لن يتخلى عنى .. وأنه لن يدخر وسعًا فى سبيل مساعدتى .

★ ★ ★

تأملها قائلاً :

- الحمد لله .. إننى أرى أنك قد استعدتِ صحتك تمامًا .. واسترد وجهك إشراقته .

ابتسمت له قائلة :

- لولا أن الله قد أرسلك لى فى هذه اللحظة لما كنت على ما أنا عليه الآن .

ضحك قائلاً :

- كيف تقولين هذا وقد جاء لقاؤنا مقترنًا بتعرضك لحادثة ؟

ضحكت بدورها قائلة :

- حقًا .. أظن أنه يتعين على ألا أنسى ذلك .

سألها قائلاً :

- والآن .. هل أنت متأهبة لمغادرة المستشفى ؟

أجابته قائلة :

- نعم .. وإن كنت لا أدرى إلى أين سأذهب بعد ذلك .

قال لها بصوته الرخيم الهادئ النبرات :

- اطمئنى لقد دبرت لك ذلك ، وحجزت لك غرفة مريحة فى أحد الفنادق .. كما نقلت إليها هذا الصباح كل متعلقاتك التى تركتها فى الفندق الذى كنت تقيمين فيه من قبل .

قالت وقد أحست بعجزها عن توجيه كلمات الشكر إليه :

- لكن هذا كثير للغاية .

قال لها بصوته الدافئ :

- لا شىء كثير عليك يا (وفاء) .

- كلاّ .. إننى أشكرك لما فعلته من أجلى حتى الآن .. وأظن أننى أستطيع تدبير أمرى بعد ذلك .

ابتسم قائلاً :

- كيف تقولين هذا ؟ هل نسيت أنه من حقك الآن أن ترفعى علىّ قضية تعويض لأننى تسببت فى إصابتك ؟

ابتسمت بدورها قائلة :

- أنت تعرف جيدًا أننى لا يمكن أن أكسب مثل هذه القضية .. لأنك لست مسئولاً عن إصابتى .. ولا حتى سائق السيارة التى صدمتنى .. فقد كنت أنا المخطئة .

قال لها بلهجة مرحة :

- لكن لولا ظهورى المفاجئ لما ....

قاطعته قائلة بلهجة جادة :

- (صلاح) .. إننى أتكلم بجد .. لا يمكننى أن أحملك مسئوليتى أكثر من ذلك .

يكفى ما قدمته لى بشأن الاتهام الظالم المنسوب إلى .

- ولكنى لم أفعل شيئًا .. فقد ثبتت براءتك عن طريق شهادة موظف الاستقبال .. لمصاحبة ذلك السائح العربى لك ورؤيته للساعة فى يده قبل أن يصعد معك للغرفة .. وبذلك لم يكن هناك أى مبرر لاتهامك بأى شىء .. عدا تجاوزك لتصريح الإقامة المحدد لك هنا .. وهذا شىء استطعت معالجته عن طريق اتصالاتى هنا .

أما عن مسئوليتى نحوك فأنا لا أستطيع التخلى عنها .. مادمت موجودة هنا ، ولن أسمح لك بأى معارضة فى هذا الشأن .

ـ ولكن ....

ـ حسن .. يمكنك أن تعتبرى أىَ مصاريف أنفقتها دينًا عليك .. رديه لى فيما بعد .. والآن هيا بنا لنغادر المستشفى فهم بحاجة لهذا السرير الذى كنت تشغلينه ..أم أنك استمرأت الأمر وتريدين البقاء أسبوعًا آخر ؟

ضحكت قائلة :

ـ هيا بنا .

★ ★ ★



١٥ ـ نهاية الطريق ..

جلست بجواره فى السيارة ، وهى ترقبه بطرف عينها فى انتظار أن تسمع منه أية معلومات أمكنه الحصول عليها بشأن زوجها .. لكنه أخذ يتطرق معها إلى أحاديث أخرى .. دون أن يتطرق لهذا الأمر .

سألته قائلة :

ـ هل نحن ذاهبان إلى الفندق الذى حجزت لى فيه ؟

ابتسم لها قائلاً :

ـ هل أنت متعجلة إلى هذا الحد ؟

ـ كلاَ .. ولكن ..

ـ ما رأيك لو دعوتك على الغداء ؟ أعرف مطعمًا أنيقًا يقدم وجبات شهية على أنغام الموسيقى وفى بقعة هادئة من العاصمة .

قالت له وقد نفد صبرها :

ـ (صلاح) .. ألم تحصل على أية معلومات جديدة بشأن زوجى ؟

قال لها بهدوء :

- قولى لى أنتِ أولاً .. هل تقبلين دعوتى ؟

ابتسمت قائلة :

- لا أظن أنه بالإمكان رفض هذه الدعوة المغرية خاصة بالنسبة لامرأة جائعة ومفلسة مثلى .

قال لها بمرح :

- حسن .. هذا شىء طيب .

- لكنك لم تجب عن سؤالى بعد .

- دعينا نتناول طعامنا أولاً .. ثم نتحدث فى هذا الشأن .

تطلعت إليه وقد انتابها إحساس بالقلق .. فربما كان يخفى عنها شيئًا بشأن (محمود) ولا يريد أن يطلعها عليه الآن .

سألها قائلاً وهما يتناولان الطعام :

- هل أعجبك الطعام الذى يقدم هنا ؟

أجابته قائلة :

- إنه رائع .. لكنك لم تخبرنى أنه مطعم متخصص فى تقديم الأطعمة المصرية .

- لقد أردت أن أجعلها مفاجأة لك .. إننى آتى إلى

هذا المطعم كلما اشتقت إلى تناول الأطعمة المصرية المحببة .. وقد فكرت أنه ربما تكونين أنت أيضًا قد اشتقت إلى أكل الملوخية بالأرانب ، والكفتة المشوية .

- لقد كنت متشوقة بالفعل لتناول طعامًا كهذا بعد أن بدأت معدتى تمل الأطعمة الهولندية برغم شهرتها العالمية .

لا بد أن صاحب هذا المطعم مصرى .

أجابها قائلاً :

- نعم .. وغالبية الذين يعملون هنا أيضًا .

- والآن .. ألن تخبرنى عما إذا كنت قد علمت شيئًا بشأن زوجى ؟

- قولى لى أنت أولاً .. لماذا لم تلجئى إلى السفارة المصرية منذ البداية ؟ بدلاً من البحث عنه بهذه الطريقة المضنية التى لجأت إليها ؟

- لقد فعلت ذلك بمجرد وصولى إلى (هولندا) .. لكنهم أخبرونى أنهم لا يعرفون عنه شيئًا .. كما أننى لم ألتق بك هناك .

- لا بد أنك حضرت إلى السفارة فى أثناء قضائى لإجازتى السنوية فى مصر .. لذا لم نلتق هناك .

كما أنه لا بد أن زوجك قد ارتكب نفس الخطأ الذى ارتكبه العديد من المصريين هنا .. وهو عدم المبادرة بتسجيل بياناته (الاسم ومحل الإقامة والعمل) فى السفارة المصرية حتى يمكن الاستدلال عليه ومساعدته إذا ما اقتضى الأمر ذلك .

لكنهم غالبًا لا يهتمون بذلك .. بل أحيانًا يتعمدون عدم تسجيل هذه البيانات ظنًا منهم أن ذلك قد يضر بهم .. إذا ما أرادوا تجاوز مدة الإقامة المصرح بها هنا .

ـ إذن .. فلم تتمكن من معرفة شىء عن زوجى .

ـ بصراحة .. إننى مازلت أحاول .

ـ أرجو ألا يكون فى ذلك ما يسبب إزعاجًا لك أو أضرارًا بوضعك الدبلوماسى .

تنهد قائلاً :

ـ كلاً .. على الإطلاق .

ثم استطرد قائلاً :

ـ ما رأيك لو طلبنا الشاى الآن ؟

ـ لا مانع .

نادى (صلاح) الجرسون ليطلب منه إحضار الشاى .. وقد بدا عليه التفكير العميق .

سألته وقد لاحظت شروده :

ـ هل هناك ما يضايقك ؟

قال لها بابتسامة مفتعلة وهو يهز كتفيه :

ـ كلاً .. وما الذى يضايقنى ؟

ـ هل تزوجت يا (صلاح) ؟

تنهد بعمق هذه المرة وهو يعود إلى الابتسام قائلاً :

ـ أخيرًا سألتنى هذا السؤال .. لقد ظننت أنك غير مهتمة على الإطلاق .

ـ آسفة .. ولكن الظروف التى مررت بها حالت بينى وبين الاستفسار عن أحوالك .

ـ تزوجت بإحدى قريباتى .. عندما علمت بزواجك مباشرة .

فلم أكن قد توقفت عن متابعة أخبارك .. والسؤال عنك برغم انتقالنا من العباسية .. وكان لدى أمل فى أننا .. ربما .. أعنى .. أن تغيرى رأيك بشأنى .

لكن علمى بأمر زواجك أنهى هذا الأمل الضئيل .. فقررت الزواج فورًا .. خاصة وأننى كنت أستعد للسفر إلى أوربا طبقًا لظروف عملى .. وكان يتعين على أن أسافر مصحوبًا بزوجة .. فتزوجت من الفتاة التى رشحتها لى العائلة .

ـ وهل أنت سعيد فى زواجك ؟

ـ الحمد لله ، إننا نعيش فى هدوء واستقرار .. وزوجتى امرأة متفهمة وتقوم بواجبها نحوى على الوجه الأكمل .. وقد رزقت منها بطفلة جميلة .

ابتسمت (وفاء) قائلة :

ـ حقًا .. وماذا أسميتها ؟

أجابها قائلاً :

ـ (وفاء) !

اهتزت مشاعرها .. وهى تنظر إليه .. وقد أدركت أنه لم يتمكن من نسيانها برغم مرور كل هذه السنين .. وأنه مازال يحتفظ لها بذلك الحب النبيل الذى لم تستطع أن تبادله إياه .

بينما استطرد قائلاً :

ـ سأجعلك ترينها يومًا ما .

سأكون سعيدة بذلك .

وفجأة تجمدت عيناها على وجه شخص يرتدى حلة أنيقة ، وهو يدخل إلى المطعم فى صحبة فتاة شقراء باهرة الجمال .. فصاحت قائلة :

ـ (محمود) !!

التفت (صلاح) إلى حيث أشارت ، بينما كان زوجها يستعد للجلوس وبصحبته تلك الشقراء .

وقبل أن يتمكن من الاستفسار عن ذلك ؛ كانت (وفاء) قد اندفعت إلى المائدة التى يجلس إليها (محمود) وهى تناديه وبطريقة هستيرية قائلة :

ـ (محمود) ! (محمود) أخيرًا عثرت عليك !

نظر إليها زوجها فى ذهول وقد فوجئ برؤيتها أمامه .. فى حين حدقت المرأة التى تصحبه فيها بدهشة .

قال لها وهو غير مصدق :

ـ (وفاء) ؟!!

كان تصرفها هذا قد أثار انتباه الجميع من رواد المطعم .. مما جعله يشعر بحرج شديد وهو يقول لها :

ـ كيف جئت إلى هنا ؟

ـ انتظرت لحظة لكى يمكنها السيطرة على مشاعرها المنفعلة .. وهى لا تصدق أنها قد عثرت عليه أخيرًا .. قبل أن تقول :

ـ لقد كنت أبحث عنك .. إننى لا أصدق أننى قد وجدتك أخيرًا !

سألته رفيقته بالإنجليزية قائلة :

ـ من تكون هذه المرأة ؟

أجابها بصوت خافت قائلاً :

ـ إنها زوجتى السابقة .

نظرت إليه (وفاء) بدهشة قائلة :

ـ زوجتك السابقة ؟ ماذا تعنى بذلك ؟ ومن هذه المرأة ؟

قال لها وقد انحدرت قطرات من العرق على جبينه :

ـ إنها زوجتى !!

قالت له (وفاء) وهى لا تصدق أذنيها :

ـ زوجتك .. إذن من أكون أنا ؟

قال لها مرتبكا :

ـ ألم تعلمى بالأمر ؟ لقد أرسلت إليك ورقة الطلاق منذ ثلاثة أسابيع عن طريق السفارة !

نظرت إليه فى ذهول قائلة :

ـ هل طلقتنى ؟ بعد كل الحب الذى جمع بيننا .. بعد كل ما فعلته من أجلك ؟!

تحدث إلى زوجته الهولندية ببضع كلمات .. ثم تحول إلى (وفاء) قائلاً :

ـ (وفاء) من فضلك دعينا نتفاهم .. من الأفضل أن نتحدث فى الخارج .

لكنها لم تكن تستمع إليه وهى فى ذهولها بل استمرت تقول :

ـ لقد كدت أن أجن .. بسبب غيابك عنى .. ورفضت أن أنتظر فى المنزل على أمل أن أراك يومًا ما .. أو أستسلم لما أخبرونى به من أنك فى عداد المفقودين .

ذقت الأمرين من أجل البحث عنك .. جربت الجوع .. وأنهكنى المرض والتعب وظللت أتنقل من بلد لآخر .. أقتصد من طعامى .. ومن نومى وراحتى من أجل البحث عن الزوج الحبيب .

وفى النهاية تقول لى بكل بساطة إنك طلقتنى .. وتزوجت من أخرى !

حاول أن يمسك بمرفقها ويصحبها إلى الخارج قائلاً لها :

ـ من فضلك اهدئى قليلاً .. ودعينى أشرح لك الأمر .

لكنها جذبت ذراعها من يده بعنف قائلة له :

ـ لم يعد الأمر بحاجة إلى شرح .. فقد انتهى الأمر .. هنا نهاية الطريق .. وهنا ينتهى الحب والعذاب والتضحية .. وكل تلك الأشياء التى ذهبت هباء .

كان يجب علىّ أن أعرف من أنت منذ طلبت منى التخلص من الجنين !

كان يجب أن أنتبه إلى أشياء كثيرة غفلت عنها أو تغافلت عنها باسم الحب .

كان يجب أن أعرف أىّ شخص أنانى وصولى أنت ؟ لكننى كنت أغفر لك كل شىء باسم الحب .. الحب الذى دسته بقدميك .

وأسرعت تغادر المطعم وقد أخذ يناديها قائلاً :

- (وفاء) .. (وفاء) !

هم باللحاق بها .. لكن (صلاح) استوقفه قائلاً :

- لا داعى لذلك .. أظن أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد .

من الأفضل أن تعود لتناول الطعام مع زوجتك الشقراء .

وأسرع هو ليحاول اللحاق بها .. حيث اندفع خلفها فى الطريق محاولاً اللحاق بها وأمسك بها قائلاً :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟ تعالى لأصحبك فى سيارتى إلى الفندق . لكنها ابتعدت عنه قائلة والدموع تملأ عينيها :

- دعنى وشأنى .. ابتعد عنى .. أنت أيضًا خدعتنى .. كنت تعرف ما حدث .. لكنك مع ذلك أخفيت الأمر عنى .. وتركتنى أتعرض لهذا الموقف المهين .

أمسك بذراعها مرة أخرى قائلاً :

- دعينى أشرح لك الأمر .. إننى لن أدعك تذهبين هكذا .

قالت له بانفعال :

- أنت أيضًا تريد أن تشرح لى .. ماذا تريد أن تقول ؟ ما هى الخدعة الجديدة التى تريد أن تخدعنى بها .

وأخذت ترتعد وهى تنتحب قائلة :

- أرجوك .. اتركنى وشأنى .. لا أريد أن يكون لأحد صلة بى .

لكنه تمكن أخيرًا من إقناعها بركوب سيارته حيث أخذ يشرح لها الأمر فى الطريق قائلاً :

- لم أعرف بما حدث إلا منذ أسبوعين فقط .. وذلك عندما بدأت تحرياتى بشأنه .. ولم أعلم شيئًا عن وثيقة الطلاق قبل ذلك لأننى لم أكن موجودًا فى السفارة وقتها ..

وعندما علمت .. لم أستطع أن أخبرك .. فالظروف التى مررت بها والإصابة التى لحقت بك .. والمشاعر الجياشة التى رأيتك تحملينها له ، جعلتنى مترددًا فى إطلاعك على الحقيقة .

كنت خائفًا عليك من الصدمة .. ووجدت أن الحل الأفضل هو أن أنقل إليك الخبر تدريجيًا .

لكنى أقسم لك إننى لم أعرف أنه سيأتى إلى هذا المطعم عندما اصطحبتك إليه .. ولم يخطر ذلك على بالى مطلقًا .

مسحت العبرات التى انسابت على وجنتيها قائلة بهدوء :

ـ سأسافر إلى القاهرة هذه الليلة .

ـ الليلة ؟ مستحيل !

وقالت له بإصرار :

ـ إذا أردت أن تقدم لى مساعدة أخيرة .. احجز لى على أية طائرة متجهة إلى القاهرة هذه الليلة .

ـ لا توجد أية طائرة مسافرة إلى القاهرة هذه الليلة من (أمستردام) .

ـ إذن فليكن غدًا .

قال لها متأثرًا :

ـ ألا يمكنك أن تبقى قليلاً ؟

ـ لم يعد يوجد ما يستدعى بقائى .

ـ أرجوك يا (وفاء) .. لا أريد أن أراك وأنت تبكين .

نظرت إليه وقد احتبست العبرات فى عينيها قائلة :

ـ اطمئن يا (صلاح) .. لقد كنت أبكى من أجل السنين التى ضاعت من عمرى هباء ، ومن أجل الشقاء الذى عشته طوال الأشهر الأخيرة بلا معنى .. والوفاء الذى وهبته لمن لا يستحق .. ولن أعود للبكاء مرة أخرى .. فقد جفت العبرات ولن أذرفها بعد اليوم ..

* * *

رافقها (صلاح) إلى المطار حيث ودعها قائلاً :

ـ أرجو أن تعتنى بنفسك جيدًا .. وألا تنسى ما وعدتنى به .. لا دموع بعد اليوم .

صافحته قائلة :

ـ اطمئن يا (صلاح) ، لن أنسى .

ـ سأنتظر حتى تقلع الطائرة .

ـ أرجوك لا داعى لذلك ..

- مع السلامة يا (وفاء) .

- ألقى عليها (صلاح) نظرة أخيرة قبل أن يغادر المطار .. بينما تأهبت هى لدخول صالة الانتظار الداخلية فى انتظار ركوب الطائرة .

لكنها فوجئت بـ (محمود) وهو يقبل عليها مسرعًا .. وقد اكتسى وجهه بمشاعر الندم قائلاً :

- (وفاء) .. اغفرى لى .. أعرف أننى قد أسأت إليك كثيرًا .. لكن الظروف كانت أقوى منى .. لقد فقدت كل أموالى وأحلامى فى الكويت وكان على أن أبدأ من جديد .

كان على أن أواجه فشلى الذى منيت به .. لم أكن فى حالة تسمح لى بإرسال أى خطاب إليك لشرح الموقف ..

ظننت أننى أستطيع أن أتغلب على فشلى .. وأن أسترد ما ضاع وأن أحقق الطموح الذى سافرت من أجله .

رفضت أن أعود إلى بلدى وأنا أجرّ خلفى أذيال الفشل ..

فقررت أن أسافر إلى أية دولة أخرى لأبدأ من

جديد .. ذهبت إلى أكثر من سفارة حتى استطعت الحصول على تأشيرة إلى (هولندا) .. وعندما جئت إلى هنا .. وجدت أننى لن أستطيع أن أحقق شيئًا من أحلامى وطموحاتى ..

فقد انتقلت من وظيفة وضيعة إلى أخرى .. ومن فشل إلى فشل .

ذقت طعم الجوع والحرمان وجربت النوم على أرصفة المحطات .. إلى أن التقيت بهذه المرأة التى قابلتنى معها .. عينتنى فى شركتها ، و ....

- ووجدت أن زواجك من هذه الفتاة الجميلة الثرية هو الحل الأمثل الذى سيحقق لك كل أحلامك وطموحاتك .

وأنه يتعين أن تلقى وراءك بكل ما يربطك بالماضى حتى تتفرغ للتطلع إلى مستقبلك الجديد .

- لقد أردت أن أمنحك حريتك حتى تبدئى مع إنسان جديد كما فعلت أنا .

أعرف أننى إنسان سيئ .. لكنى أحببتك برغم كل شىء .

قالت له بمرارة :

ـ لكنك كنت تحب نفسك أكثر .. لقد ضحيت بالماضى من أجل المستقبل أما أنا فكدت أن أدفع حياتى سعيًا وراء هذا الماضى .. ثم اكتشفت فى النهاية أننى كنت أجرى وراء سراب .

أدارت له ظهرها وهى تواصل طريقها نحو الطائرة .

وعندما أخذت مكانها فى الطائرة وجدت عبرة ما زالت محتبسة فى عينيها .. فمسحتها سريعًا .

وتذكرت وعدها لـ (صلاح) .. ووعدها لنفسها .. أنها لن تذرف الدمع من أجل من لا يستحق .. ولن تبكى من أجل ماض أصبح سرابًا .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

المؤلف



أ . شريف شوق

لن أبكى

ظلت تبحث عنه طويلاً ..
وذاقت فى سبيل ذلك الكثير من
الألم والشقاء .. وعندما وجدته
تبينت أنها كانت تبحث
عن سراب ..

75

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم